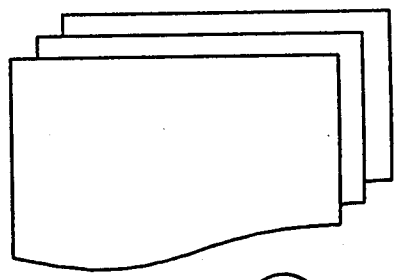

الفخر القبلي وبواعثه

في

معلقة عمرو بن كلثوم

دراسة موضوعية فنية

إعداد

د / عبد العاطي سيد حرب سالمان

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

في كلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر بأسيوط

لجنة التحكيم

أ.د/ حمـــدان عبـــد الـــرحمن أحمـــد	عضو اللجنة العلمية المحكمة
أ.د/تمـــــساح علـــــى أحمـــــد	عضو اللجنة العلمية المحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان علمه البيان وسخر له ما في الأرض ليكون خليفته فيها، وألزمه في مقابل ذلك بتوحيده وطاعته، ولكنه خصيم مبين ـــ إلا من رحم ربك ـــ والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتيقن وقدوة المتواضعين، وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا أن القوة لله جميعاً " .

وبعد،

فكلما قرأت أو سمعت شيئاً عن عمرو بن كلثوم، تتبادر إلى ذهني، تلك الآيات القرآنية، والمواعظ الرادعة التي تضع الإنسان في حقيقته، والتي لا تري بشراً مستحقاً ـــ مهما بلغ ـــ أن يتجبر في الأرض، ومنها على سبيل المثال، " وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً " [1]، وقوله تعالى : " وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً " [2]، وقوله تعالى : (وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [3]، وقد كان عمرو جباراً عنيداً، كادت معلقته تدور كلها حول استعلائه وشموخه بأنفه على كل البشر، حتى لا يكاد يجد من يستحق مخاطبته وظهر من خلالها وكأنه متربع على عرشه فوق السحاب، لا ينظر إلى ما تحته إلا مزدرياً نه محتقراً إياه، شاعراً بالتيه والعظمة في نفسه، حتى يكاد بالفعل أن يفكر في أن يخرق الأرض أو يطاول الجبال، أو يبلغ أسباب السموات ويصل إلى السحاب .

فشعره كان أداة للتعبير عن خيلائه، تتكاثر فيه الصور المصبوغة بالنجيع، وتتراكم فيه جثث القتلى، حتى عدت هذه القصيدة نموذجاً للشعر الحربي الذي تتمثل فيه فضائل الفروسية العربية بمنطقها الجاهلي خير تمثيل .

---

(١) سورة النساء من الآية : ٢٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٣٧ .

(٣) سورة لقمان الآية : ١٨ .

والمراجع للشعر الجاهلي في بداياته الأولى يدرك أن ذلك الشعر عند أمثال عمرو بن كلثوم كان قبلياً في أكثره لأن صاحبه كان فارساً قوياً وسيداً لقبيلته ذات البأس الشديد وورث عنها هذا المجد، ومن هنا جاء شعره تغنياً بهذا المجد التليد وبتلك القبيلة القوية في هذا المجتمع الذي جعل الكلمة تتحول إلى قيمة عالية بحيث كانت قادرة على التأثير والتوجيه وعلى أن ترفع أو تضع، وتعز أو تذل وتحكم وتفصل ــ وإن كان هذا لا ينبغي إلا لله وحده، ولكلامه سبحانه وتعالى ــ ٠

فكانت قصيدة عمرو بن كلثوم تحمل في طياتها هذا الفخر القبلي، لأن شخصيته انصهرت في داخل القبيلة، وأول ما يطالعنا في فخره هذا : أنه فخر صاحب هادر، قد جاوز وبلغ بصاحبه الغرور وبالغطرسة كل مبلغ ٠

ومن هذا المنطلق أردت أن أقف على فخر هذا الشاعر القبلي في معلقته ــ حتى لا نطيل ــ واكشف عن هذه المبالغات، وتلك الشخصية التي دارت حولها، بعض الأساطير من قبل بعض الدارسين ٠

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد، وفصلين، ثم خاتمة تليها فهارس للمصادر والمراجع٠

فالمقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع، وسبب الكتابة فيه، وأما التمهيد : فكان تحت عنوان: " عمرو بن كلثوم وشاعريته " وتحدثت فيه عن اسمه ونسبه وميلاده ونشأته وعلاقته بتاريخ آبائه وأجداده، ولكن بإيجاز ــ حسب طبيعة البحث ــ٠

ثم جاء الفصل الأول من هذه الدراسة تحت عنوان : " الفخر القبلي في معلقة عمرو بن كلثوم وبواعثه " وكان بمثابة الدراسة الموضوعية لهذا البحث، لأنه عبارة عن نظرات تحليلية في هذه المعلقة في الغرض المشار إليه، وبدأته بتعريف الفخر، ثم بينت أهم أنواعه وبواعثه، وتيسيراً لدراسة هذا الغرض الشعري في المعلقة قسمتها إلى موضوعات جانبية، ومنها على سبيل المثال، " الحديث عن قومه ومآثرهم، وأيضا، تهديد ووعيد لعمرو بن هند ٠٠٠ الخ " ٠

أما الفصل الأخير فكان بمثابة الدراسة الفنية، ومن ثم جاء تحت عنوان : " لمحات فنية في هذا الفخر " .

وذكرت شيئاً عن شعر عمرو بن كلثوم وآراء النقاد فيه ثم مكانة المعلقة بين الشعر العربي بوجه عام والمعلقات بشكل خاص، ثم ألحت إلى بعض الصور البلاغية ـــ ما أمكن، ثم تلي كل ذلك خاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع .

وإنني إذا أقدم هذه السطور عن شاعر تغلب وقائدها عمرو ابن كلثوم، لا أدعي الكمال، فالكمال لله وحده، وحسبي أنني بذلت فيه ما استطعت وحرصت على أن لا أبخل عليه بجهد فإن أكن قد وفقت فلله وحده الحمد والمنة، وإن كانت الثانية فحسبي أنني اجتهدت، راجياً أن أكون قد أسهمت ولو بقدر يسير في مجال خدمة أدبنا العربي الذي نفخر به ونحيه .

والله أسأل التوفيق، فهو حسبي ونعم الوكيل

أ . د / عبد العاطي سيد حرب سالمان
الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد
في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط

" الفخر القبلي وبواعثه في معلقة عمرو بن كلثوم "

تمهيد

عمرو بن كلثوم، شاعريته وبواعثها

الدارس للعصر الجاهلي يرى أن من أهم مظاهر الحياة للعرب هذا الصراع الدامي والقتال البغيض، إذ تحولت الجزيرة العربية في ذلك العصر إلى ما يشبه ساحة حربية كبيرة تقتتل فيها العشائر والقبائل، وفي كل جانب يتصايح الأبطال، وتشهر السيوف وتلمع الرماح وتصوب النبال وتدق الأعناق، وتسيل الدماء، والضباع والذئاب والنسور والعقبان تتخاطف الأشلاء [1]، وكأ هذه السبل هي القادرة على تحقيق الذات .

ومن ثم كثرت الحروب،وعلا شأن هذه القوة ومظاهرها وأسبابها في هذا المجتمع، وكذلك في هذا الشعر على حد سواء، ودوّت في قصائده وأبياته قعقعة السيوف وتقصد الرماح وصرير الدروع وصهيل الخيول، وغمغمة الفرسان، وتذامرهم حتى سدت الأنامل الآذان أو همت، وتراث العصر الجاهلي حافل زاخر بما كان بينهم من حروب وأيام خلدها الشعر على مر الزمان، ولا أريد أن أخوض في هذا الخضم الهائل، ولا أسبح في هذا البحر العميق، فالكثير من السابقين، قد أبحر فيه، وإنما أردت أن أقف على نوع من هذا الشعر، وهو الفخر القبلي أو الجماعي الذي يتغنى فيه الشاعر بقبيلته، وأظن أن هذه القضية فيها شيء من الجدة، فقد تجلت في حياة الجاهلية ـــ كما مر ـــ مظاهر الصراع والقتال، وقد رافق هذا حديث عن الشجاعة والجبن، وعبر الشعراء في أثناء صراعهم مع خصومهم وفي ساحات القتال أو بعدها عن هذه المظاهر، فكان الحديث عما اصطلح عليه " الحماسة والفخر " وهذا يعني وصفاً للبطولة وتعبيراً عن تجلياتها، أو شحذاً للهمم وتحميساً لأبناء القبيلة، وقد مثلت هذه الأبعاد مثلاً عليا للبطولة عبر عنها الشعراء .

---

(١) البطولة في الشعر العربي د . شوقي ضيف ص ١٧، دار المعارف .

ولكنني سأقتصر في هذا السياق على نمط واحد من أنماط الفخر، في الشعر الجاهلي، وهو الفخر القبلي أو الجماعي والذي يمثله الشاعر " عمرو ابن كلثوم التغلبي " خير تمثيل .

ونبدأ الحديث هنا بنبذة مختصرة عن حياته لنقف على بواعث وأسباب هذا الشعر، فمَنْ عمرو بن كلثوم ؟ ولماذا نبغ في الفخر الجماعي ؟ ولِمَ لم يكثر من تغنيه بذاتيته ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ـــ وغيرها مما يدور في الذهن ـــ أقول وبالله التوفيق :

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن بكر ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وكان عمرو ابن كلثوم شاعراً فارساً، وهو أحد فتاك العرب، وهو الذي فتك بعمرو ابن هند .. [1] .

ويقول أبو الفرج : " .. هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن تغلب بن وائل ... " [2] فهو يرجع في نسبه إلى قبيلة تغلب المعروفة في العصر الجاهلي، والمشهورة بأيامها في الحروب، وخاصة " حرب البسوس " التي خاضت غمارها مع أختها بكر، واستمرت زهاء أربعين عاماً فيما يذكر الرواة [3] .

فعمرو بن كلثوم من شعراء الجاهليين المعروفين، وهو أحد شعراء المعلقات العشر أو السبع كما عند البعض [4]، ومن ثم احتل مكاناً معروفاً بحيث أصبح لا يحتاج إلى تعريف أو إظهار، وعلى

---

(١) راجع في ذلك شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها جمع الأستاذ أحمد الأمين الشنقيطي .

(٢) الأغاني لأبي الفرج ط / دار الثقافة، بيروت ج ١١ ص ٤٦ وما بعدها، وراجع كذلك في اسمه ونسبه : جمهرة أشعار العرب للقرشي ص ١٨٣، نقلاً عن الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٨٤، وموسوعة الشعر العربي " العصر الجاهلي " اختارها مطاوع صفدي وآخرين ص ٤٣١، والأدب في العصر الجاهلي د . عبد الرحمن عبد الحميد، ص ١٨٥ .

(٣) انظر هذه الأيام مفصلة في كتاب : أيام العرب في الجاهلية، لمحمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط / دار الجيل بيروت سنة ١٤٠٨ هـ .

(٤) وكما هو معروف بعضهم جعلها عشر معلقات كما عند التبريزي الذي جمع بين رواية حماد، وهذه عنده سبع معلقات وعدَّ منها معلقة عمرو بن كلثوم هذه، وبين رواية القرشي وهي عنده سبع أيضاً، ولكنه أسقط بعضاً من رواية حماد وأضاف إليها غيرها، فهذه المعلقة مثبتة في الروايتين .

فالمعلقات إذن: سبع أو عشر .. انظر : معلقات العرب، د . بدوي طبانة .

أقل تقدير عند الدارسين للشعر الجاهلي، ولكن ما أريده في هذه العجالة هو إماطة اللثام، وكشف النقاب عن بعض أشياء يسيرة تتعلق بالنشأة والبيئة وبعض المؤثرات التي شكلت شخصية هذا البطل الذي وصل إلى أن حيكت حوله الأساطير، وأثرت على نتاجه الشعري حتى بعد أن مات فانتحل عليه بعض الشعر والأخبار، وهذه الأشياء ستكون بمثابة الضوء الذي ينير لي الطريق لأرى شخصية هذا البطل، وأتعرف على الأسباب التي من أجلها اتجه في فنه هذا الاتجاه، وقصره على قبيلته، وإلا : فقد كتب عن عمرو بن كلثوم كثير من الكتاب والنقاد نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

في القديم : ابن سلام في الطبقات، والقرشي في جمهرة أشعار العرب، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، والأصفهاني في كتابه الأغاني، وغيرهم مما لا يتسع المقام لذكره، وأما في الحديث : فهناك من كتب عنه أيضاً وعلى سبيل المثال نذكر : جورجي زيدان، وأصحاب كتاب الوسيط في الأدب، وكذلك المفصل، والزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي، وصاحب شعراء النصرانية، وغيرهم كثير .

وقد شرح معلقته ورواها " الزوزني " في كتابه شرح المعلقات السبع، وكذلك شرحت في كتاب " نهاية الأرب في شرح معلقات العرب " ورواها صاحب الجمهرة وهي أكثر من مائة وخمسة عشر بيتاً في بعض الروايات، وقد طبعت هذه المعلقة في مدينة بونا سنة ١٨٩١ م مع ترجمتها باللاتينية .. [1] .

وقد طبع الديوان مرة أخرى " طبعة تجارية " بدار صادر بيروت بدون تحقيق ــ طبعة أولى عام ١٩٩٦ م .

مولد عمرو بن كلثوم، وما دار حوله من أساطير وأثرها في حياته وشعره :

(١) راجع : دراسات لبعض الشعراء الجاهليين د . خفاجي، مطبوع مع أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمري ط / دار الجيل ج ٢ ص ١٧٢ .

تدور بعض الأساطير حول مولد عمرو بن كلثوم منها الخيالي، ويقترب بعضها إلى الحقيقة، ومنها : لما تزوج مهلهل بن ربيعة ـــ الشاعر المعروف ـــ والذي قاد حرب البسوس ضد بني عمومته لأنهم قتلوا أخاه كليباً ـــ الذي يضرب به المثل في العزة والشجاعة ـــ بنت بعج ابن عتبة [1]، ولدت له جارية، فقال لأمها هند : اقتليها وغيبيها، وهذه عادات بعض العرب في الجاهلية التي أشار إليها القرآن الكريم وهي" وأد البنات " : " وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ " [2]، ولكن هنداً لم تقتلها وأمرت خادمها أن يغيبها، فلما نام هتف به هاتف وقال له :

كم من فتى مؤمل ∴ وسـيد شمـردل

وعدة لا تجهـل ∴ في بطن بنت مهلهل[3]

فاستيقظ من نومه فقال : يا هند أين بنيتي؟ قالت : قتلتها، فقال : كلا وإله ربيعة، فكان أول من حلف بهذا، فأصدقيني، فأخبرته فقال : أحسني غذاءها، فتزوجها كلثوم بن مالك بن عتاب، فلما حملت بعمرو ابن كلثوم، قالت : إنه أتاني آتٍ في المنام فقال :

يا لك ليلى من ولد ∴ يقـدم إقدام الأسد

من جشم فيه العدد ∴ أقـول قيلاً لا فند

ثم ولدت غلاماً فسمته عمراً، فلما صار عمره عاماً، قالت : أتاني ذلك الهاتف في الليل وأعرفه فأشار إلى الصبي وقال :

إني زعيم لك أم عمرو ∴ بما جـد كريـم النحر

أشجع من ذي لبد هذبر ∴ وقاص أقران شديد الأسر

---

(١) وقد جاء في شرح ديوان امرئ القيس للسندوبي ما نصه : " وزعموا أن مهلهلاً كان قد تزوج من هند بنت عتبة فولدت له جارية ... الخ " راجع هذا المصدر ص ٣٤٧ وما بعدها .

(٢) سورة التكوير الآيتان : ٨، ٩ .

(٣) المعلقات العشر : الشنقيطي ص ٦١، وعمرو بن كلثوم التغلبي د . علي نجيب عطوى ص ٢٧ .

يسودهم في خمسة وعشر

قال الأحذر : فكان كما قال، سادهم وهو ابن خمسة عشر عاماً، ومات وله مائة وخمسون عاماً [1]" وهذه القصة وغيرها مما احتوته كتب الأدب والأخبار ـــ سواء كانت حقيقة أم من نسيج الخيال، فإنما تدل على أمر مهم، فهي من قبيل النصوص التي قال عنها بعض الباحثين : " .. بعض هذه النصوص هو إخبار عما لم يحدث وليس له واقع أو حقيقة، إنه خيال مجنح ألفه صاحبه بتؤدة وروية ليخدم غرضاً من الأغراض، أو مذهباً من المذاهب .. للتسلية والمرح .. ويستطرد قائلاً : " .. وهذا التخيل لم يبدأ من فراغ، وإنما يبنى على أمر من واقع زمنه وما يعرفه الناس ويألفونه في ذلك الزمان، وهو متأكد من قبولهم له، فلا يجدون فيه غرابة ولا استهجاناً، وبعض هذه القصص المنتحلة تحمل في داخلها قوة تجعلها مقبولة بل مرحباً بها، وقد يكون الإتقان فيها أكثر من الحقيقة التي لا تأتي بمثل هذه المتعة والارتجال فيها لا يأتي بمثل هذه الصور البديعة، ولهذا لا يمكن أن يقال إن هذه القصص المفتعلة أجمل من الحقيقة، وأحياناً تجمع من الفوائد أكثر مما تجمعه حادثة حقيقية"[2].

ولكني رغم كل هذا لا أجزم بوضع هذه القصة وافتعالها، فلعل لها أصلاً قد حدث، وإنما السياق الذي جاءت به مستغرباً بعيداً، وعلى كل هي تدل على علو قدر عمرو بن كلثوم ورفعة مكانته وشجاعته، فلولا ذلك لما نسجت حوله تلك الأقوال، وألفت من أجله تلك الأقاصيص حتى ضرب به المثل فقيل " أفتك من عمرو بن كلثوم " [3]" وهو يكشف بنفسه عن هذه المكانة وردها إلى ما ورثه من البيئة التي يعيش فيها، قال :

فهل حدثت عن جشم بن بكر

---

(١) الأغاني ج ١١ ص ٤٦ وما بعدها، وانظر : في مرآة الشعر الجاهلي د . فتحي أحمد عامر ص ٢٨٦، ر. شرح المعلقات العشر للشنقيطي ص ٦٧ .

(٢) مجلة الفيصل العدد ٢٦٢ ص ٢٤، مقال للدكتور / عبد العزيز الخويطر تحت عنوان : " الوضع وكشفه

(٣) المستقصي في أمثال العرب للزمخشري ج ١ ص ٢٦٦ .

بنقص في الخطوب الأولينـــــا

ورثنا مجد علقمة بن ســـيف

أباح لنا حصون المجد دينـــــا

ورثت مهلهلاً والخير منـــــه

زهيراً نعم ذخر الذاخرينـــــــا

وعتاباً وكلثوماً جميعـــــا

بهم نلنا تراث الأكرمينـــــــا

وذا البرة الذي حدثت عنـــــه

به نحمي، ونحمي المحجزينا ..[1]

وسوف نلتقي بهذه الأبيات عندما نتكلم عن فخره في المعلقة .

نشأته وحياته :

ولد عمرو بن كلثوم ونشأ في أرض قومه التغلبيين، وكانوا يحمون هذه الأرض بالسلاح والجنود، وقد ولد الشاعر بين مجد وجاه وسلطان، فنشأ شجاعاً هماماً خطيباً شاعراً يجمع خصال المجد والسؤدد والشرف [2]، فأبوه كلثوم كان زعيماً مبرزاً في رهطه بني جشم، وأمه ليلى بنت المهلهل بطل حرب البسوس وعمها كليب ــ كما تقدم ــ إنه شرف المحتد والفروسية التي رضع لبانها مع حليب أمه، وجرت في عروقه، مما أحاط هذه النشأة وهذا النسب هالة روج لها البسابون بروايات مثيرة تتصل بالرؤى والأحلام، كما ذكرنا في صدر هذه السطور .

ومن ثم قاد عمرو الجيوش وله من العمر خمسة عشر عاماً، وحارب أعداء قومه، وكان مجدوداً مظفراً في كثير من تلك الحروب التي خاضوها، ومن أهم تلك الأيام ما حدث في حرب البسوس ...

(١) جمهرة أشعار العرب للقرشي ص ١٩٠، وموسوعة الشعر العربي الصغرى ص ٤٣٢، ٤٣٣ .

(٢) دراسات لبعض الشعراء الجاهليين، وشعر الشعراء الستة د . عبد المنعم خفاجي ج ٢ ص ١٦٩ .

وقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء شيئاً من ذلك فقال: [هو من بني تغلب من بني عتاب جاهلي قديم، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أمي، فقالوا نعم عمرو ابن كلثوم، قال : ولم ؟ (ذلك) قالوا : لأن أباها مهلهلاً بن ربيعة، وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلها كلثوم بن مالك بن عتاب أفرس العرب، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه فأرسل ... وتنتهي القصة بأن يقتل ابن كلثوم ابن هند في بيته .. [1] .

ومن الأخبار الدالة على شخصية ابن كلثوم ــ صاحب هذه الدراسة ــ وحياة العزة والأنقة التي نشأ فيها وعاشها وأنه لم يتهاون في الذب عن محارمه وحدوده مهما كان المعتدي عليها هذا الهجاء المقذع الذي صدر منه لملك من الملوك في ذلك الوقت وهو النعمان ابن المنذر ملك الحيرة، ثم قتله في ظروف الخصومة بين بكر وتغلب، قال ابن الأعرابي : حين بلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعده، استدعى كاتباً من العرب فكتب إليه :

ألا أبلغ النعمان عني رســـــالة

فمدخك حولي وذمك قـــــــارح

متى تلقني في تغلب ابنة وائـــل

وأشياعهـــا ترقى إليك المســـالح [2]

وكذلك قوله يعيره بأمه سليمى :

حلت سليمى بخبث بعد فرتـــــاج

وقد تكون قديماً في بني تـــــــاج

إذ لا ترجى سليمى أن يكون لهـــا

من باخورنق من قين ونســـــــاج

---

(١) راج هذه القصة في الأغاني لأبي الفرج ج ١١ ص ٤٦، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٧ وما بعدها، والمعلقات العشر وأخبار شعرائها للشنقيطي ص ٦٨، وموسوعة الشعر العربي للصفدي ص ٤٢١، وغيرها من المصادر .

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦، ط / بيروت، دار القلم .

ولا يكون على أبوابها حـــــــرس
كما تلفف قبطي بديبـــــــــــــاج

وهكذا رجعت المناوشات بين عمرو بن كلثوم وخصومه، مهما كانت مكانتهم، كما ذكر الأصبهاني في هذه الرواية بين الشاعر وبين النعمان وذكر الأبيات ومناسبتها [1] .

وتمضي الأيام بعمرو بن كلثوم وهو على هذا المنوال، وعلى تلك الصورة من غزو إلى غزو ومن حرب إلى حرب على عادة العرب الأقوياء حتى لا يطمع في حماهم طامع، انطلاقاً من هذا المنطق العجيب " ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه .. يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم).

ويوجد في الديوان أكثر من مقطوعة في هجاء النعمان مما يعني تأزم الوضع فيما بينهما، ولا أرى سبباً لذلك سوى قتل عمرو بن هند عم النعمان بن المنذر على يد عمرو بن كلثوم ـــ على ما أشرنا إليه ـــ وتشير بعض المصادر ـــ على ما ذكر صاحب الأغاني ـــ إلى حدوث مصادمات ومعارك بين الطرفين أدت إلى مقتل اثنين من أبناء النعمان ابن المنذر .. وكان لعمرو أخ يقال له مرة بن كلثوم، فقتل المنذر ابن النعمان وأخاه، وإياه عني الأخطل بقوله لجرير :

أبني كليب إن عمَّي اللذا ∴ قتلا الملوك وفككا الأغلالا [2]

وقال الفرزدق يرد على جرير في هجائه للأخطل :

ماضر تغلب وائل أهجوتها ∴ أم بلت حيث تناطح البحـــــــران

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة ∴ عمراً وهم قسطوا على النعمان[3]

---

(١) الأغاني ج ١١ ص ٥٠، ٥١ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ج ١١ ص ٤٩ .

(٣) راجع ديوان الفرزدق ص ، وراجع في هامش ٣، ٤، الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٨، ط / دار المعارف .

والغريب أن صاحب كتاب أيام العرب في الجاهلية لم يذكر شيئاً ذا بال عن هذا اليوم، أو خبر عن هذا الحدث، رغم محاولته استيعاب الأيام المشهورة، وقد ذكر أياماً وأحداثاً أقل شأناً مما نحن بصدده، وهذا يوضح أن تاريخ العرب وخاصة في الجاهلية يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي وربط الروايات المتناثرة هنا وهناك فيما بينها لتخرج بتاريخ مقرب لحياة العرب الحقيقية والتي ضاع أكثر أخبارها، ويجب أن يكون شعرهم في هذا من المصادر الأساسية لهذا التاريخ، لأنه ديوان العرب الذي سجل تاريخهم وقوانينهم وصفاتهم، بل وأمزجتهم ومشاعرهم النفسية، ولربما وجدنا في القصيدة الواحدة وصفاً لمعركة مثلاً أو غزوة من الغزوات، أو حدث من الأحداث العامة ما لا نجده في كثير من كتب التاريخ والمغازي أو السير وأيام العرب، وأيضاً ربما نجد نحة في بيت أو بيتين من الشعر عن بيئة الشاعر ومجتمعه ما لا نجده في عدة كتب تاريخية، أو غيرها من الكتب التي يفترض فيها تصوير البيئات والمجتمعات ونقل صورة حية منها [1] .

وهكذا عاش ابن كلثوم تياهاً بقومه، يذود عنهم بلسانه وسيفه، وكان معتداً بذاته، شديد الزهو بالطرفين من نسبه، وكان متعالياً إلى حدود الغطرسة والعجب، لا يرى أحداً أحق منه بالرفعة والسؤدد، لا يخفض جناحه لسيد أو عظيم، ولو كان من القادة أو الملوك، وكان يثور ويغضب أشد الغضب إذا أراد بعضهم أن يمتهنه، أو يحقر من شأنه، أو يسعى إلى إذلاله ولو من قبيل الاختبار، فكان يلقى قتله في عقر داره ــ كما فعل مع الملك عمرو بن هند ملك الحيرة ــ ..

إن حياة عمرو بن كلثوم حافلة بمعاني القوة والبطولة، حتى إنهم كانوا يفخرون بجرأته وشجاعته، وهذا هو الغالب، ولكن كانت له بعض الأوقات التي يلهو فيها كغيره من فرسان الجاهلية، ويغيب في هذه الأوقات القليلة عن ساحات المغازلة وحلبات الصراع والمقاومة .

شاعريته وبواعثها :

أما عن شاعريته فقد جاء في جمهرة أشعار العرب للقرشي عن عمرو " قال الذين قدموا عمرو بن كلثوم : هو من قدماء الشعراء، وأعزهم نفساً وأكثرهم امتناعاً، وأجودهم واحدة، قال عيسى بن عمر: لله درّ عمرو بن كلثوم أي حلس شعر، ووعاء علم لو أنه رغب فيما رغب فيه

(١) راجع : سنابل الشعر، علي محمد العمير، ط / دار العمير سنة ١٤٠٤ هـ، ص ٦ .

أصحابه من الشعراء، وإن واحدته لأجود سبعهم " [1] .

ويذكر سبب إنشاده لهذه الواحدة الرائعة فيقول : " .. وذكر أبو عمرو بن العلاء : .. أنه لم يقل غيرها ولولا أنه افتخر في واحدته، وذكر مآثر قومه ما قالها، وقيل .. قال مطرف : بلغني عن عيسى ابن عمر، وأظن أني قد سمعته منه، أنه كان يقول : لو وضعت أشعار العرب في كفة، وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها ..) [2] .

ومن خلال هذه السطور المذكورة نقول : إن ابن كلثوم شاعر من القدماء، بل من أجودهم واحدة، والسبب في نظمه لها أنه تغنى فيها بقبيلته، وهنا نحكم بأن الباعث الأول في شاعريته هو الفخر الجماعي والتعصب القبلي، وليس قلة شعره في بقية الأغراض لضعف شاعريته وإنما عزوفاً عن الشعر لأنه لا يليق بمثله وهذا من وجهة نظره، ولذلك علل صاحب هذه السطور بهذه الأسباب وانظر إلى قوله : " .. أي حلس شعر ووعاء علم لو رغب فيما رغب غيره ... " .

وعن شاعرية عمرو وبواعثها يقول صاحب موسوعة الشعر العربي (.. نشأ نشأة زهو وتفاخر بنفسه وبأصله، وعبر عن ذلك بشعرٍ تغلب عليه صفة الفخر، وتغشاه الأجواء الملحمية، وصور القتل والدمار ..) [3] .

وأراد صاحب هذا الرأي أن يأتي بدليل على صحة وصدق ما قال، فذكر أن الشاعر: " .. انتدب لتمثيل قبيلته في مؤتمر الصلح الذي عقد في بلاط عمرو بن هند، للتوفيق بين تغلب وبكر، وقد حكم الملك لخصمه الحارث بن حلزة، لشدة ما لقيه من عنت الشاعر وعنجهيته وتفاخره بقومه، وتفوقهم في الحروب، غير هياب من هيبة الملك، ولا حرج من قوته وصولته، وقد أراد الملك إذلاله، فأوعز إلى والدته هند عمة امرئ القيس، وكانت أم ليلى بنت مهلهل بنت

---

(١) راجع : جمهرة أشعار العرب للقرشي، ص ٩٥، ٩٦ .

(٢) السابق ونفس الصفحات .

(٣) راجع في هذه القصة : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٧، موسوعة الشعر العربي لصفدي ص ٤٢١، والأغاني ج ١١ ص ٤٩، وما بعدها، وديوانه ص ٨، والمعلقات للشنقيطي ص ٦٨ ... وغيرها كثير .

أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم امرئ القيس بن حجر الشاعر وبينهما هذا النسب، أن تدعو هند هذه ؛ أم عمرو بن كلثوم وهي ليلى، لزيارتها وتتعمد إذلالها، ليثير الشاعر ويرى ما يكون من أمره، ولما طلبت منها أن تخدمها غضبت واستنجدت بولدها المقيم مع الملك (ابن هند) وعندما وقف على الخبر ثارت ثائرته واشتد غضبه، وعالجه بسيف معلق في رواقه فقضى عليه، ونادى في قومه وارتحلوا، بعد أن ساقوا أمامهم نجائبه وساروا نحو الجزيرة، وفيها أنشد هذه المعلقة الشهيرة، التي حفظها قومه، لأنها تبين مكانتهم وقوتهم، وأولها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا .·. ولا تبقي خمور الأندرينا ..[1]

وسوف يكون لنا معها لقاء عندما نتكلم عن فخر عمرو بن كلثوم.

ومع أن هذه الحادثة مشبعة بجو من الغرابة والإثارة، فإنها تدل على قوة الشاعر، واستهانته بأقدار أعدائهم، حتى الملوك منهم، وإن شعوره ببأس بني قومه، كان يدفعه إلى شيء من الهوس والتهور والجنون .

وأما المتبقي من شعره، فقد كان متناثراً في صفحات الكتب الأدبية والسير إلى أن نشر المستشرق " فريتزكرنكو " ديوانه بالاستناد إلى نسخته الوحيدة المخطوطة التي عثر عليها في مكتبة مسجد السلطان الفاتح بالأستانة، ولم تكن المعلقة في عداد المقطوعات التي احتواها الديوان المذكور [2] ، وقد نشر ذلك الديوان في مجلة الشرق سنة ١٩٢٢ م، وهو في الحقيقة لا يتجاوز المائة بيت والثلاثين.. وبهذا لا يعد ديواناً بالمعنى الصحيح، فما هو إلا شعر متفرق قليل يدور حول الفخر والمدح والهجاء [3] .

ثم طبع الديوان بتحقيق وتقديم د . عمر فاروق الطباع، وقد حرص ـــ كما يقول في مقدمته ـــ على أن تضم هذه الطبعة كامل شعر عمرو بن كلثوم المعروف حتى هذا الوقت، وقد طبعت في

---

(١) راجع : الموشح للمرزباني ص ٩٩، ت محمد البجادي .والأغاني ج١١، صـــ١٢٧

(٢) مقدمة ديوان عمرو بن كلثوم، د. عمر فاروق الطباع ط/ دار القلم سنة ١٩٩٤م ص١٣ .

(٣) مقدمة شرح الزروني على المعلقات السبع، مكتبة الحياة ط / سنة ١٩٩١م، ص ١٩٦ .

دار القلم سنة ١٩٩٤م ٠

وفاته وخبر موته :

جاء في كتاب المعلقات العشر، وأخبار أصحابها عن وفاته، " وعمرو بن كلثوم معدود في المعمرين، روى أنه عاش مائة وخمسين عاماً، ولما حضره الموت جمع بنيه وقال : يا بني قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي، ولابد أن يترل بي ما نزله بهم من الموت، وإني والله ما عيرت أحداً بشيء إلا عيرت بمثله، إن كان حقاً فحقاً، وإن كان باطلاً فباطلاً، من سب سُبّ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم، وامنعوا من ضيم الغريب فرب رجل خير من ألف وردّ خير من خلف، وإذا حُدثتم فعوا وإذا حَدثتم فأوجزوا، فإن مع الإكثار يكون الإهذار، وأشجع القوم العطوف بعد الكره، كما إن أكرم المنايا القتل، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا إذا عوتب لم يعتب، ومن الناس من لا يرجى خيره ولا يخاف شره، فبكؤه خير من دره، وعقوقه خير من بره، ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدي إلى قبح البغيض " [1] وهذه وصية ــ إن صحت نسبتها إلى عمرو فقد صدرت من شيخ مجرب، ذاق من الدهر حلوه ومره، فلما حضره الموت جمع بنيه وأوصاهم بهذه الوصايا التي يحرص عليها العربي الأصيل ٠

(١) المعلقات العشر وأخبار شعرائها، الشنقيطي ص ٦٩، وكذلك الديوان ص ١٣ ٠

الفصل الأول

الفخر القبلي في معلقة عمرو بن كلثوم وبواعثه وأهم موضوعاته

تعريف الفخر وأنواعه:

الفخر بشكل عام ــ كما عرفه البعض هو ضرب من الحماسة، وهو التغني بالفضائل والمثل العليا والتباهي بالسجايا النفسية والصفات القومية والزهو بالفعال الطيبة، وألذ أحاديث المرء عنده حديثه عن نفسه وخصاله وفعاله من الشجاعة والكرم والمروءة، وحماية الجار، وطيب المنبت وعراقة الأصل وكثرة المال والولد إلى غير ذلك مما يزهو به الإنسان ويختال به على غيره ...[1].

والفخر كما يقول بعضهم أيضاً (هو تعداد الصفات وتحسين السيئات وهو رفيق الآداب كلها منذ أن كان للشعوب آداب، وهو عند العرب باب واسع من أبواب شعرهم يعبر عن ميلهم الطبيعي إلى الأنفة والعزة، كما يعبر عن انتفاخة أعصابهم تحت تأثير العوامل الجوية والطبيعية .

والفخر من ثم أنواع : فخر ذاتي وهو ما دار حول العقل والقلب واللسان والساعد وما دار حول القبيلة والآباء والأجداد، وأما الفخر الحزبي فهو لسان الحزب ينطق بحقوقه وطموحه، وينشر تعاليمه وآراءه، وأما الفخر الحربي، وهو شعر الحماسة ــ والحماسة نشأت مع العربي منذ وجد ومنذ أن ارتمى في أحضان طبيعة قاسية جعلته غرضاً لأحداث الزمان ونكبات الحدثان، وقد فطر العربي لذلك على الشجاعة والقتال وأصبح القتال جزءاً من حياته الطبيعية، وطالما نشأت الحروب عند العرب وشبت الثورات الدامية، مثل : حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، وفارسها عنترة، وحرب البسوس بين بكر وتغلب، وفارسها عمرو بن كلثوم، ففجرت هذه الحروب القرائح فتدفقت بسيل ملحمي مختلف زاخر بالبطولة والعزة "[2] .

---

(١) انظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د . يحيى الجبوري ص ٣٠٠ .

(٢) الفخر والحماسة بقلم حنا الفاخوري، ص ٥، ٦، بتصرف.، دار المعارف .

فالحماسة هي نوع من أنواع الفخر، وإذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي وجدناها تمثل " أهم موضوع استنفذ قصائدهم، فقد سعرهم الحروب، وأمدها شعراؤهم بوقود جزل من التغني ببطولاتهم، وأنهم لا يرهبون الموت، فهم يترامون عليه تحت ظلال السيوف والرماح مدافعين عن شرف قبائلهم وحمايتها، ويرتفع هذا الغناء، بل هذا الصياح في كل مكان بحيث يخيل إلينا أنه لم يكن هناك صوت سواه" [1].

والشعر الحماسي رغم هذه الكثرة، يعتبر من أصدق الأشعار وأقواها وأشدها تأثيراً في النفوس، ذلك لأن الشعراء الذين صاغوه كانوا من الفرسان، بل أقوى من خاض غمار الحرب وارتمى في ساحات القتال، فكانوا يعبرون عن واقع مشهود وتجارب نفسية خاصة، صادقة وإن لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجاوزة الواقع [2] .

وهناك من الفخر ما يهذب النفوس ويحمل طابع الخلود، ويذكي الحماس والقوة والشجاعة والإقدام وهو أفضل أنواع الفخر والحماسة، لأنه يخرج من نفس أبيه صادقة، طموح، خاصة إذا دارت معانيه حول الأخلاق الفاضلة من العفة والكرم وحماية الجار وغيرها من معاني المروءة .

وكان العرب يهتمون بشعر الفخر، ويروونه، ويبالغون في حفظه وتتبعه، إذا كان يتصل بهم أو بقبائلهم، فهم يقبلون عليه ويحفظونه كبيراً وصغيراً، لدرجة أنهم عيروا بذلك من خصومهم كما سبق .

ومن ثم فقد غلب الفخر على سائر أغراض الشعر الجاهلي انطلاقاً من غلبة النزعة القبلية، أو الذاتية، ومن وحي الحروب التي عاشتها تلك القبائل، وكذلك المنافرات والمفاخرات، التي كانوا يتنافسون عليها، ويتسابقون عليها، ومن أبرز شعراء الفخر في ذلك الوقت (الأعشى، وطرفة، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، وغيرهم كثير ...) [3].

---

(١) راجع العصر الجاهلي، د . شوقي ضيف، ص ٢٠٢ .

(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري ص ٢٩٤ .

(٣) راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٨، ١٣٩ .

ومن ثم نرى أن الحديث عن الخيلاء والقوة، أو السيادة والشرف، في منطق هذا العصر هو الغالب، والاحتكام إلى السيف والحرب ـــ حتى وإن كان على باطل ـــ هو الغالب أيضاً على أهل هذا الزمان، وقد كان يدور حول محورين أساسيين هما الفخر الجماعي، والفخر الفردي، فالأول الفخر الجماعي أو القبلي، ولا يصدر إلا عن رجل له مكانة مرموقة في القبيلة التي يقودها نحو ساحات القتال، ويسودها في أوقات السلم، فهو يريد أن يتغنى بأمجاد هذه القبيلة، ويبالغ في قوتها ليصل بها إلى حد الأسطورة، حتى يقذف بالرعب في قلوب أعدائها، وهذا الشاعر الفارسِ والقائد الشجاع في غنى عن الحديث عن نفسه، لأنه معروف لدى الجميع، ويمثل هذا الاتجاه ـــ كما ألمحت من قبل شاعرنا عمرو ابن كلثوم، وهو مناط هذه الدراسة وموضوع هذا البحث .

أما الفخر الفردي والتغني بالذات فهو ما دار حول العقل والقلب والساعد، وما دار حول ذاتية الشخص المظلوم من عشيرته، والذي هضم حقه في القبيلة التي يعيش فيها بين أفرادها بدون جريرة أو ذنب، سوى تقاليد هذه القبيلة الجائرة، وقد يأتي هذا الظلم من أقرب الناس إليه، فتثور نفس هذا الفارس المظلوم، ويحاول أن يكشف لهم عن ذاتيته وفروسيته وشجاعته، وأنه صاحب نفس أبية ترفض حياة الذل والمهانة ؛ إنه في حاجة إلى الكشف عن هذه الذات المظلومة لتعرفها هذه الجماعة، فتحلها القبيلة المكانة اللائقة والمنوطة بها، وخير من يمثل هذا الفخر هو الفارس الشاعر عنترة بن شداد، فهو في حاجة ماسة للحديث عن نفسه دون قبيلته ليسترد حريته وكرامته، ثم بعد ذلك يتحدث عن الآخرين، ومن ثم نرى أن السمة الغالبة على الفخر الفردي هي التغني بالبطولة والنجدة والشجاعة، والإقدام والاندفاع، وهي سمات فردية خاصة بذلك الشاعر، وتجدها كثيرة في شعر عنترة [1] .

إن الفخر الفردي، وخلافاً لما قد يتبادر إلى بعض الأذهان، ليس بالضرورة أن يكون ذلك الفخر الذي يعتروه السقام، فهو خالي من الفضيلة، أو يحمل طابع الغلو والاعتداد بالنفس والمباهاة فقط، بل ثمة نوع آخر منه، وهو أفضله، وأسماه ألا وهو الفخر الحماسي " الذي يهذب النفس ويزكي نار الحماس والقوة والإقدام، حتى يجد صاحبه لنفسه مكاناً لائقاً به بين أقرانه وأنداده من فرسان القبيلة .

(١) راجع : الفخر والحماسة ص ٥، وما بعدها، بقلم حنا الفاخوري .

ومن أهم أسباب وجود الفخر بنوعيه (الذاتي والقبلي) أو الفردي والجماعي في شعرنا العربي أن الأمة العربية تعتز بكرامتها وعزها، وأن العربي ذو أنفة بطبيعته، لذلك كثر الفخر في العصر الجاهلي على لسانه، وأيضاً : كانت الصحراء العربية بيئة خصبة مناسبة لظهور فن الفخر لما تشهده من صراع مستمر بين الإنسان والطبيعة، وبين الإنسان وغيره من بني جلدته، ومن ثم كثر هذا النوع من الشعر على المستوى الفردي أو الجماعي، فالصحراء حافلة دائماً بالمخاطر والحروب، وبكل مظاهر القوة والعنف وفيها من الأسباب التي تدعو لإظهار البطولة والفتوة الكثير، ومنها على سبيل المثال التقاتل والتطاحن من أجل البقاء في كل صوره .

أيضاً من الأسباب التي جعلت شجرة الفخر يانعة باسقة قوية أن المجتمع الصحراوي كان يقوم على العصبيات القبلية مما يجعل الكثير منها تقيم تحالفات وتشارك في الحروب، وبالتالي تنطلق ألسنة الشعراء لتمجد البطولة ولتعزز مواقف القبائل [1] ومن هنا تتضح سيطرة الروح القبلية في ذلك العصر ــ حتى على الفخر فجاء الكثير منه على الصيغة القبلية، لأنها هي الوحدة الاجتماعية العظمى في ذلك الوقت .

ومن ثم استأثرت بأكثر الفخر من قبل الشعراء، وبرزت منزلة الشاعر الجاهلي في هذا المجتمع، وهي منزلة رفيعة وهامة، وكان مولده فرحاً وعرساً للقبيلة، يقيمون فيه الولائم ويحتفلون بهذا الميلاد السعيد، ويهنئ بعضهم بعضهاً بهذا الحدث الهام " وكانت القبيلة من العرب ؛ إذا نبغ فيهم الشاعر أتت القبائل الأخرى فهنأتها، ووضعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ... لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم " [2] .

فهناك علاقة وثيقة بين الشاعر الفارس، الذي عرف له الجميع منزلته وجعلوه في المكانة المرموقة، وبين عشيرته وقومه الذين عرفوا حقه عليهم، وهذا عقد فني يفرض على الشاعر ألا يتحدث عن نفسه، وإنما يتحدث عن تلك القبيلة التي جعلته سيداً عليها ــ مثل عمرو ابن كلثوم

(١) انظر كتاب الفخر في الشعر العربي لسراج الدين محمد، ص ٦ .

(٢) دراسات في الشعر الجاهلي د . يوسف خليف ص ١٧٤، ط / دار غريب سنة ١٩٧٠١م.

ـــ ومن ثم جعل من لسانه لساناً لها، ومن شعره صحيفة لها يدون من خلالها مفاخرها وأمجادها حتى بأطفالها فهو معبر عن مشاعر القبيلة لا مشاعره، وعن رغباتها لا رغباته الشخصية، بل أصبحت القبيلة هي ألوانه التي يرسم بها لوحاته الفنية لا من نفسه .. " [1] .

ولهذا أردت أن أدرس الفخر الجماعي ـــ هذا عند عمرو ابن كلثوم الذي يعد من أفضل مَنْ تناول هذا الغرض، وإن كان هناك من الشعراء من تناوله لكنه لم يصل فيه إلى ما وصل إليه عمرو ابن كلثوم .

ومن هذا الشعر الذي يحمل طابع الفخر الجماعي في العصر الجاهلي، وقد غلا صاحبه في نزعته القبيلة، وبالغ فيها إلى أبعد الحدود، رغبة منه في الوصول إلى أقصى مراتب الغناء القبلي ما نجده في قول الشاعر" عامر بن الطفيل " في أبيات له تحت عنوان : " هذه فعالنا " [2].

فلو علمت سليمي علم مثـــــلي
غداة الروع، واصلت الكرامـــــا
وقتلنا سراتهم جهـــــــــاراً
وأشبعنا السباع خصيً عظـــــاما
وقتلنا حنيفة في قراهـــــــــا
وأفنى غزونـــا حكماً وحـــــاما
قتلنا كبشهم فنجوا شـــــــلالاً
كما نفرت بالطرد النعـــــــــاما
وجئنا بالنساء مردفـــــــــات
وأذواد فكن لنا طعـــــــــاما
وقد نلنا لعبد القيس ســـــــــباً
من البحرين يقتسم اقتســـــاما

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٢٤ .

(٢) راجع موسوعة الشعر العربي، اختيار وشرح مطاوع صفدي وآخرين ص ٥٧٦ وما بعدها .

وفي هذه القصيدة يعدد الفارس " عامر بن الطفيل " هذا، فعال قومه بأعدائهم، ويضخم من شدة بأسهم ويبالغ في قومهم إلى درجة غير مقبولة في تلك الأيام التي ذكرها مثل " ذو نجب وهو : مكان كانت لهم به وقعة، والحومان في طريق اليمامة من البصرة، ويوم الشعب : وهو شعب جبلة .. الخ .

إن علاقة الشاعر بالقبيلة علاقة وطيدة وقوية، وهي التي أفرزت ذلك الفخر الجماعي أو القبلي لدى شعراء ذلك العصر، بل إن بعضهم إذا تكلم كان كالملك الذي تطيعه القبيلة كلها، وهذا ما نجده مثلاً عند طرفة بن العبد، حينما جعله الرافعي ـــ رحمه الله ـــ شاعر القبيلة الأول في الجاهلية، في قوله : " ليس فيما وقع إلينا من شعر الجاهلية ما ينطق بأن صاحبه شاعر قبيلة بمجموع هذا المعنى غير طرفة، فهو إذا فخر رأيته يتكلم بلسان ملك، قد ضمن طاعة قومه واستمسك بميثاقهم " [1] .

ومن أبرز قصائد طرفة في الفخر الجماعي قوله في يوم تحلاق اللمم، وهو اسم يوم :

سائلوا عنا الذي يعرفنـــــــا
بقوانا يوم تحلاق اللمـــــــم
يوم تبدي البيض عن أسوقهـــا
وتلف الخيل أعراج النعـــــــم
أجدر الناس برأس صـــــــلدم
حازم الأمر شجاع في الوغـــم

إلى أن يقول فيها :

نذر الأبطال صرعى بينهـــــا
تعكف العقبان فيها والرخـــم [2]

(١) راجع : تاريخ آداب العرب، الرافعي ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ١٢٢ وما بعدها، ط / دار صادر .

فقد افتخر طرفة بمآثر قومه وشجاعتهم الحربية يجليها ويتفنن في تجليتها وتوضيحها، منوعًا في أساليب عرضها، وملوناً في صورها، ولكن مع ذلك نلمح في كلام الرافعي غلواً ومجاوزة للواقع في حكمه، ففخره بقومه ليس مقصوراً عليه، وإنما سبقه غيره إليه أضف إلى ذلك أننا وجدنا بعض الباحثين يجعل طرفة بن العبد من شعراء الفخر الفردي، بل والمسرف في المغالاة بشخصيته المتفردة والمعتزة بهذه الشخصية أيّما اعتزاز، وقد استشهد على ذلك بما جاء في المعلقة من شعر في هذا الجانب، وهذا حكم ربما جاء من خلال النظر في معلقة طرفة دون بقية أشعاره [1] .

لكن من يرجع إلى بقية أشعار طرفة في غير المعلقة، يجده قد عاش للجماعة، وتغنى بمحامد القبيلة، وإن كان أعمامه ظلموه، ومن ثم لم تكن هذه الأشعار صادقة قوية، أو فيها الفناء التام في هذه القبيلة، فلم تصل إلى شعر عمرو بن كلثوم في هذا الاتجاه، وكما يقول أحد النقاد : " .. طرفة عاش في شعره للجماعة، ولكنه لم يفن فيها فناءاً تاماً، فشخصيته واضحة في ديوانه، إذ كان شاعراً وجدانياً أكثر منه اجتماعياً .. " [2] .

ونستطيع القول جمعاً بين هذه الآراء المتناقضة في هذه القضية : أن طرفة جمع بين الاتجاهين في الفخر الفردي والجماعي، وهذا ليس غريباً على الشعر العربي، فهناك من الشعراء غير طرفة، قد جمع بينهما في براعة ويسر، والدليل على ذلك ما نراه عند الشاعر " سلامة ابن جندل (٦٠٨ م) مثلاً، وهو شاعر مقل من شعراء الطبقة الثانية، وفارس من فرسان تميم المعدودين، وقد تصدى في شعره القليل لمعظم الموضوعات التي جرى عليها عمود الشعر الجاهلي، مع انصراف خاص إلى الفخر في وجهتيه : الفردي والقبلي، دون أن يترع فيه مترعاً يميزه عن طبائع الفخر الاتباعي المعروفة، ففيه عنجهية، وخيلاء، وتعداد، وتهديد، وما إلى ذلك " [3] .

---

(١) راجع : دراسات في الأدب الجاهلي د .يوسف خليف ص ١٨٣ .

(٢) راجع : الأدب العربي المعاصر في مصر، د . شوقي ضيف ص ٥١، ط / دار المعارف بمصر .

(٣) موسوعة الشعر العربي، مطاوع صفدي وآخرين ص ٤٧٥، وقد ذكر له بعض الأبيات الشعرية في هذا الصدد .

هذا عن الفخر الجماعي أو القبلي، أما عن الفخر الذاتي أو الفردي، فله موقف آخر في الشعر الجاهلي، يتضح عند بعض شعراء ذلك العصر ـــ خاصة الذين ظلموا وهضموا حقهم، ولم يأخذوا مكانتهم بين ذويهم وأقرانهم، أو عندما نفضل القبيلة شخصية أقل منهم، فهنا نجد الثورة والتعبير عن هذا الحق المغتصب، وقد يصل إلى حد التمرد على نظام هذه القبيلة الجائر ٠

وقد وجد شعراء في العصر الجاهلي بالغوا في تمجيد الشخصية الفردية، وتمردوا على النظام القبلي، عرفوا باسم الشعراء الصعاليك، وأساس حركتهم ـــ إن صح التعبير ـــ هو الاعتداد بالشخصية الفردية، بل المبالغة في هذا الاعتداد، والاعتزاز بمقدرة الفرد على الوقوف في وجه المجموع، إلى درجة التحدي والتمرد والثورة، ومن هنا نلاحظ أن ضمير الجماعة " نحن " الذي رأيناه أداة للتعبير ـــ وسوف نراه في هذا البحث ـــ عند شعراء الفخر الجماعي أو القبلي، لم يعد أداة للتعبير عند هؤلاء الشعراء وأمثالهم من شعراء الفخر الفردي، وإنما الأداة المفضلة لدى هؤلاء هي ضمير الفرد " أنا " أو " تاء " المتكلم والفاعل ٠٠ كما نلاحظ أن مادة شعرهم ليست مشتقة من شخصيات قبائلهم، ولكنها مشتقة من شخصياتهم الفردية، وما تنبض به من ثورة على المجتمع القبلي وتمرد عليه، وتحد له ٠٠ "[1] ٠

ولسنا في حاجة إلى الحديث هنا عن شعراء الصعاليك، فقد درس، وكتب فيه الكثير، مثل : كتاب أستاذنا د / عبد الحليم حفني " شعر الصعاليك منهجه وخصائصه " ٠٠ وغيره كثير من البحوث والدراسات التي تعرضت لهذا الشعر والوقوف على ما فيه من جماليات فنية رائعة .

وإذا ما تركنا الشعراء الصعاليك، وأردنا أن نمثل للفخر الفردي بعيداً عن هؤلاء، فنجد خير من يمثل هذا الفخر هو فارس عبس وبطلها، وحامي حريمها " عنترة بن شداد "، فقد ولد ـــ كما هو معروف ـــ لأمة حبشية فنقلت إليه لونها وعبوديتها، فكان مصيره يتأرجح بين أمرين : إما أن يستسلم لهذا القدر ويعيش عبداً ذليلاً ويتكيف مع الواقع، وإما أن يخرج ما عنده من شجاعة وإقدام، ويظهر ذلك في القول والفعل، وقد كان، فانطلق لسانه بمثل هذا الفخر الذي يظهر فيه تلك الشجاعة التي لم تكن في أنداده من أبناء قبيلته، وهو، وإن كان أسود اللون فقد حول هذا

(١) دراسات في الأدب الجاهلي ص ١٨٨، د ٠ يوسف خليف ٠

السواد إلى صفة محببة وافتخر بها، وأرغم غيره بالاعتراف بأن اللون الأسود لا يحدد قيمة الإنسان ومكانته، وإنما جوهره وفعله وجرأته، كل هذه الأشياء هي التي تضع الإنسان في المكان الذي يليق به .

واستمع إلى عنترة وهو يقول :

" أنا العبد الذي خبرت عنـــــــه
يلاقي في الكريهة ألف حـــــــر
خلقت من الحديد أشد قلبـــــــاً
فكيف أخاف من بيض وسمـــــــر
وأبطش بالكمى ولا أبـــــــالي
وأعلو إلى السماء بكل فخـــــر [1]

وهكذا نرى أن مشكلة الشاعر الفارس الأولى هي " الحرية والمساواة، والتي يرى في نفسه أنه أحق بها وأهلها، وليس الشعر الذي فاض من وجدانه، سوى سلسلة متلاحقة من الأفكار والتأملات والمواقف التي تظهر ضلال الذين يعيرونه بلونه أو يحقرون قدره، دون أن يكون في قدره أو شخصيته حقارة فعلية [2] .

وعنترة قد افتخر بذاتيته وكشف عن شخصيته، وأظهر للآخرين ــ من الأقارب والأعداء ــ شجاعته وتغنى بكل هذا، حتى حيكت حوله الأساطير، واسمعه في هذا التصوير لتلك المعركة بينه وبين أحد خصومه الأقوياء :

هلا سألت الخيل يا ابنة مـــالك
أن كنت جاهلة بما لم تعلـــــمي
إذ لا أزال على رحابة ســـابح
نهد تعاوره الكمـــــاة مـــــكلم

(١) شرح ديوان عنترة بن شداد، ص ١٠٨، سيف الدين الكاتب ط / مكتبة الحياة، بيروت، سنة ١٩٨١ م .
(٢) موسوعة الشعر العربي، لمطاوع صفدي وآخرين ص ٥٣٣ .

يخبرك من شهد الوقيعة أنـــني
أغشى الوغى وأعف عتد المغـــــنم
ومدجج كـــره الكماة نـــــــزاله
لا ممعن هرباً ولا مســـــــــتسلم
جادت يداي له بعاجـــــل طعنـــة
بمثقف صدق الكعوب مقـــــــــوم

إلى أن يقول في المعلقة، واصفاً لنا موقفاً آخر :

فطعنته بالرمح ثم علوتـــــــــه
بمهند صافي الحديدة مخـــــــدم
عهدي به مد النهـــــــار كأنمـــا
خضب البنان ورأسه بالعطـــــــلم
بطل كأن ثيابه في سرجـــــــــة
يحذي نعال السبت ليس بتـــــــوأم

ويختمها بهذا :

ولقد شفى نفس وأبرأ سقمهـــا
قيل الفوارس : ويك عنترة أقدم [1]

فهذا مثال للفخر الفردي أو الذاتي، الذي جاء من خلال مشاعر هذا البطل " عنترة بن شداد " لأنه في حاجة إلى الإبانة عن شخصيته، والحديث عن شجاعته، ووصف لفروسيته، حتى يكون في الصفوف الأولى في القبيلة ـــ ولا أريد أن أطيل هنا ـــ لأن البحث هذا خاص بالفخر الجماعي عند، عمرو بن كلثوم، ـــ كما مر ـــ في معلقته، ومن يمعن النظر فيها يجد أن صوت هذا الفخر ينبعث من ضمير العظمة "أنا " والجماعة " نحن " فعمرو بن كلثوم في هذا الشعر قد ذابت

(١) راجع معلقة عنترة كاملة في جمهرة أشعار العرب للقرشي ص ١٦١: ١٧٠ بدون تحقيق، دار صادر .

شخصيته في بوتقة القبيلة، وتوارت ذاته الفردية في الجماعة فإذا هو يوقع على قيثارها ألحان أمجادها ومفاخرها، ويشدو بمآثرها وأيامها، بضمير الجمع " نحن " الذي كان يجسم من خلاله الوعي الجماعي، أو يعبر به عن النظام الذي تقوم عليه حياة هذه الجماعة "، وبذلك جرد البطولة، وهذا الفخر من كل معنى ذاتي، وأصبح تعبيراً عن حياة القبيلة، وبذلك أصبحت القصيدة عنده نشيداً جماعياً يتحدث فيه الشاعر عن بطولة قومه وقيمهم وصراعهم مع الآخرين .

ويرى د . شوقي ضيف أن معلقة عمرو بن كلثوم ــ التي نحن بصدد الحديث عنها هنا ــ عبارة عن نشيد يصبح فيه الشاعر بانتصارات قومه وأيامهم المعلمة المشهورة، والمعلقة جميعها صياح شديد على النحو الذي يرفع فيه قبيلته " تغلب " على كل من حولها في نجد شرقيها وغربيها، فكل من حدثته نفسه منهم بقتالها كان مصيره الهلاك والدمار، ويقول إن حياتهم سلسلة من الحروب . . ومد فخره إلى قبائل معدٍّ كلها بما يجزون من رؤوس شجعانها، ويذيقون أعداءهم كؤوس الموت المرة . . [1] .

إن عمرو بن كلثوم في وسط هذا الشعور الجماعي المتسلط كاد أن ينسى نفسه كفرد قائم بذاته، له خصوصياته، وشعوره الخاص، قد سيطرت عليه العصبية القبلية، والتغني بمآثرها وأمجادها .

وعمرو من هذا القبيل، شبيه بعنترة، إلا أننا لا نشهد في شعره السواد القاتم والقنوط الذي يشيع في شعر زميله، فقد كان الأول يكافح ليضمن الرفعة ويتحرر من ميسم الضعة، ولذلك تحدث عن ذاته وشخصيته كفرد، فيما ولد الثاني ــ عمرو ــ بالنعيم تحيط به العظمة من كل جانب، لهذا جاء شعره تفاخراً بقومه . . فهو شعر الإنسان القوي المتكافئ الذي لم تسمه الحياة بوسم تنشر فيه ألوان التفاؤل، ويطغى عليه الشعور بالقوة الفردية والكرامة الإنسانية، لأن مكانته معروفة لدى الجميع وليس في حاجة إلى الحديث عنها أو كشفها للآخرين [2] .

وهكذا نرى أن افتراق النشأة واختلاف المكانة، هيأ لاختلاف النهج الذي سار عليه كل من الشاعرين في فخره، بل وحتم عليه أن يسلك هذا الطريق، ومن ثم حرص عمرو بن كلثوم على

---

(١) العصر الجاهلي د . شوقي ضيف ص ٢٠٤، وما بعدها .

(٢) موسوعة الشعر العربي – المرجع سابق، صـ ٤٢١

أن يتغنى بمآثر قبيلته، ورأى أن مجدها فوق مجد الفرد، وأن الأماجد لا يلدون إلا ماجداً . .

ويقول السندوبي بعد أن ذكر أبياتها : " . . هذا ما أمكن العثور عليه من معلقة ابن كلثوم، والذي رواه التبريزي منها " ٩٦ بيتاً، وروى الزوزني ١٠١ بيتاً، أما أبو زيد القرشي فقد روى منها في الجمهرة ١١٦ بيتاً، والذي رويناه هنا ١١٩ بيتاً، وإني لأظن أنها أكثر من ذلك، ولكن ضاع منها الكثير . . . " (١) .

وبالرجوع إلى بعض كتب الأدب التي في متناول يدي رأيت فيها تفاوتاً ــ أيضاً ــ في عدد الأبيات المنسوبة لهذه المعلقة، وعلى سبيل المثال وجدتها في كتاب المعلقات العشر وأخبار شعرائها للأمين الشنقيطي مائة وستة أبيات (١٠٦) (٢)، وفي موسوعة الشعر العربي، اختيار مطاوع صفدي وآخرين مائة وثلاثة أبيات (١٠٣) (٣)، ومن ثم فالآراء التي أوردها النقاد تكاد تجمع على وجود شخصية عمرو ابن كلثوم، وعلى أنه شاعر جاهلي اشتهر بالفخر، وأنه من أصحاب الملاحم حتى عند من شكك فيه، نجده يعود ويعترف ضمنياً بوجود شخصيته، وكيف تكون هذه الشخصية غير موجودة أو وهمية، وقد نسب إليها المؤرخون خلفاً وعقباً ؟ وعلى سبيل المثال ما ذكره أبو الفرج صاحب كتاب الأغاني، ويذكر صاحب الشعر والشعراء في هذه القضية ما نصه : " عن عمرو بن كلثوم هذا : " وابنه عباد بن عمرو بن كلثوم هو قاتل بشر بن عُدس، ولعمرو بن كلثوم عقب منهم العتابي الشاعر المشهور واسمه كلثوم بن عمرو، ويكنى أبا عمرو، وكان كاتباً مجيداً في فن الرسائل وشاعراً مجيداً، وقد ترجم له ابن قتيبة ترجمة موجزة في هذا الكتاب " (٤) .

---

(١) شرح ديوان الرئ القيس ــ للسندولى و ٠آخرين ــ مرجع سابق، صـــ ٣٤٩.

(٢) المعلقات العشر وأخبار شعرائها ــ اعتنى بجمعه الأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ٧١ : ٨١، ط / دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ــ أولى سنة ١٩٩٣ م .

(٣) موسوعة الشعر العربي ــ اختارها وشرحها : مطاوع صفدي، وإيليا حاوي، راجعها خليل حاوي ص ٤٢٣ ــ ٤٣٧، ط / دار الشعب بالقاهرة، نشر شركة خياط ــ بيروت .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٩ و ص ٥٨٦ .

من أهم الموضوعات التي جاءت في المعلقة في هذا الفخر:

ومن أهم الموضوعات التي جاءت في هذه المعلقة سنركز فقط على الفخر الجماعي وهو موضوع هذه المعلقة وإن كانت كغيرها من الشعر القديم تحتوي على موضوعات أخرى ثانوية، وهذه لا تهمنا، وأول ما نلفت النظر إليه هنا أننا في هذه الدراسة سنقسمها إلى موضوعات أو عناوين، ونبدأ بقول الشاعر في هذه المعلقة :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ∴ ولا تبقي خمور الأندرينا

وهذه بداية القصيدة، وربما خالف بعض الشعراء الذين كانوا يبدأون قصائدهم بالوقوف على الأطلال، والحديث عن المرأة، ووصف الراحلة وغيرها، فهو قد بدأها بالحديث عن الخمر، ويمكن أن نجعل هذه الأبيات القسم الأول منها ومقدمة لها، ونجعل لها عنواناً وهو : مع الصبوح، أو مجالس الشراب، وقد استغرق هذا القسم حوالي اثنى عشر بيتاً (١٢) فهو ينتهي عند قوله :

وإن غداً وإن اليوم رهن ∴ وبعد غدٍ بما لا تعلمينا [1]

وهذه الأبيات كلها تدور حول الحديث عن الخمر والشراب الذي تقدمه هذه الفتاة من خمر الشام المعتقة، وهي ممزوجة بذلك النبات الأحمر، ثم يصف حالهم في أثناء شربهم لها، وما تفعله بهم، ولا يستطيع البخيل أن يقاومها فيجود بكل ماله، وهذه الخمر إذا قصدت سورتها العاقل المهذب، خلت به جنوناً، ثم يختم هذا المقطع بهذا البيت الذي يشبه الحكمة ويدعو فيه غيره أن يأخذ حظه من الدنيا، فالموت سوف يدركه غداً أو بعد غد :

وأنا سوف تدركنا المنايا ∴ مقدرة لنا ومقدرينـــــــا

القسم الثاني : وهو تحت عنوان " الحديث عن المرأة أو مع الظعينة " ويبدأ من البيت الثالث عشر، وهو قوله :

قفي قبل التفرق يا ظعينا ∴ نخبرك اليقين وتخبرينا

إلى أن يقول :

---

(١) راجع هذه الأبيات في : الجمهرة للقرشي ص ٣٩ ، وما بعدها، وديوان امرئ القيس للسندوبي ص ٣٥٠

ولا شمطاء لم يترك شقاها ∴ لها من تسعة إلا جنينا [1]

وفي هذه الأبيات يتحدث عمرو عن المرأة لكنه حديث الفارس الشجاع والملك القائد لقبيلته، فبعد هذا البيت المذكور هنا يذكر مباشرة ألفاظ " يوم الكريهة " وهي الحرب الضروس التي تستلب فيها النفوس، ثم يذكر كذلك " الضرب والطعن، وهذا لا يناسب الحديث عن المرأة، وإنما يناسب ذلك المفاخر بقومه وبشجاعته، وكأنه أراد أن يرجع إلى الحديث عن الغزل وذكر محاسن الفتاة، فذكر بعض أعضاء الجسد حتى يقنعنا بأنه يتحدث عن المرأة، مثل " العنق الطويل، ولونها الأبيض، وكذلك الثدي الذي لم يلمسه أحد، وصفته، وكذلك روادفها وخصرها.. الخ وهذا لا يعنينا وإنما ألمحنا إليه سريعاً مثل الشاعر ..

القسم الثالث : وهو بداية هذا الفخر الصريح وهو الحديث عن قومه وفخره بمآثرهم، وكان هذا الحديث سبباً في إنشاده لهذه المعلقة ـــ كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ـــ ويبدأ بقول عمرو بن كلثوم مخاطباً لابن هند :

أبا هند فلا تعجل علينـــــــا
وانظر نخبرك اليقينـــــــــا
بأنا نورد الرايات بيضـــــــاً
ونصدرهن حمراً قد روينـــــــا
فإن الضغن بعد الضغن يفشـــو
عليك ويخرج الداء الدفينـــــــا
وأيام لنا غرٍّ طـــــــــوال
عصينا الملك فيها أن ندينـــــــا
وسيد معشر قد توجـــــــوه
بتاج المـــــلك يحمي المحجرينـــا
تركنا الخيـــل عاكفة عليـــه

(١) جمهرة أشعار العرب للقرشي ص ١٤٠ وما بعدها، دار صادر .

مقلدة أعنتهـــــا صفونـــــــا

وقد هرت كلاب الحي منـــــا

وشذبنا قـــــلادة من يلينـــــا

وأنزلنا البيوت بذي طلـــــــوح

إلى الشامـــــات تنفي الموعدينـــا

نعم أناسنا ونغف عنهـــــــــم

ونحمل عنهم ما يحملونـــــــــا

ورثنا المجد قد علمت معـــــد

تطاعن دونه حتى يبينـــــــــا

ونحن إذا عماد الحرب خـــــرت

على الأحفاض تمتع من يلينـــــا

نطاعن ما تراخى الناس عنـــا

ونضرب بالسيوف إذا غشينـــــا

بسمر من قنا الخطى لـــــــدن

ذوابل أو ببيض يعتلينـــــــــا

نشق بها رؤوس القوم شقـــــاً

ونختلب الرقاب فيختلينـــــــا

تخال جماجم الأبطال منهـــــم

وسوقاً بالأمـــــاعز يرتمينـــا

تجذ رؤوسهم في غير وتـــــر

ولا يدرون مـــاذا يتقونـــــــا

كأن ثيابنا منا ومنهـــــــــم

خضبنـــا بأرجـــــوان أو طليـــنا

كأن سيوفنا فينا وفيهـــــــم

مخاريق بأيـــدي لاعبينـــــــــــا
إذا ما عيَّ بالأســـناف حـــــــي
من الهول المشبه أن يكونـــــــــا
نصبنا مثل رهوة ذات حـــــــــد
محافظة وكنا الســـــــــــابقينا
بفتيان يرون القتل مجـــــــــداً
وشيب في الحروب مجربينـــــــا
يدهدون الرؤوس كما تدهـــــــدي
حزاورة بأبطحها الكرينـــــــــا
حديا الناس كلهم جميعـــــــــاً
مقارعة بنيهـــــم عن بنينـــا [1]

ويختم عمرو بن كلثوم هذا المقطع بهذا البيت، وهو من جمع "والسندوبي" وأراه يتناسب مع هذا الجزء وذلك السياق لأنه يخاطب به عمرو بن هند الذي أراد أن يحيف عليهم فقال له في بداية هذا الجزء ـــ كما مر ـــ انتظر نخبرك من نحن ؟ وما مكانتنا في المجتمع القبلي ؟ الذي لا يحتكم إلا إلى القوة، ويأبى الذل ويرفض الضعف، إما أن يعيش في عزة وكرامة أو يموت، ومن ثم ختم هذا التقرير عن قومه بقوله :

ألا لا يجهلن أحد علينا ∴ فنجعل فوق جهل الجاهلينا [2]

وإذا نظرنا إلى معلقة عمرو بن كلثوم ـــ هذه ـــ نجدها تكاد تكون مقصورة على هذا البيان الذي دار حول قبيلة الشاعر بصوت مرتفع يخلع قلب من سمعه خوفاً ورعباً، إنه الفخر، بل هو الفخر فعلاً ـــ لولا أبيات ندت هنا وهناك تغنى فيها بالخمرة، وشبب بالمرأة، بل هذه الأبيات

(١) الجمهرة مرجع سابق ص ١٤٢ وما بعدها .

(٢) ديوان امرئ القيس وآخرين، حسن السندوبي ص ٣٥٦، مرجع سابق .

أيضاً لم تسلم ويتلخص فيها الشاعر من هذا الاتجاه، فرأيناه يفتخر من خلالها ـــ كما مر ـــ فالفخر هو البارز في هذه المعلقة، وكان السبب في نظمها .

وعند النظرة الأولى في هذه المعلقة لا تجد شيئاً يلفت النظر سوى ذلك الفخر الهادر، والصياح المنعالي، ودارت معانيها حول الفخر الحماسي الحربي، الذي يصور البطولة القتالية، والمثل العليا للفروسية، فنجده يتحدث في هذا الجزء عن مكانة قومه وشجاعتهم، مخاطباً عمرو بن هند، وفي حذفه لحرف النداء ما يدل على ثقة الشاعر بنفسه بتعجيله في الرد عليه، وعدم تراخيه أو خوفه من سرعة الإجابة الغاضبة، فقال له : لا تعجل علينا بحكمك، ولا تغتر بقوتك، قبل أن تعرف من أمرنا ومكانتنا وشرفنا ما تجهل، فعندنا من ذلك الخبر اليقين، وكأن هذه بداية الفخر ومقدمة التعالي على الملك " ابن هند " وعلى خصومه وإن كانوا من أبناء عمومته .

ومن ثم تحدث عن المعارك وغمراتها وتعالي صياحه بهذا المعنى، بحيث يخيل إلى السامع أنه لم يكن هناك صوت سواه، ويظن أنه لم يكن هناك فخر أعلى من فخر الشجاعة القتالية، والتنكيل بالأعداء، ومن ثم نجده دائماً يعتزّ بتضييق الخناق، على أعدائه، ويرفع نفسه وقبيلته دائماً فوق مستوى سائر القبائل العربية، والأبيات التي ذكرناها في هذا المقطع خير دليل على ذلك، ولنرجع إليها سريعاً لنرى صدق ما نقول .

وأول ما يخبر به عن شجاعة قومه أنهم يحملون الرايات والألوية الحربية بلونها الأبيض فإذا ما عادوا بعد القتال صارت حمراء قانية من كثرة دماء الأعداء التي سالت عليها، والثاني : فإياك أن تثير حفيظتنا وتغضبنا، فإن غضبنا لا يطاق، والحقد يكثر وينتشر فلا نستطيع أن نكتمه، وهذا لا تستطيع تحمله أو الرد عليه، والدليل على ذلك، كم من سيد قوم، وملك متوج بتاج ملكه، يحمي من يلجأ إليه ويدافع عن جواره وعشيرته، فهو قوي منيع، لكنه لم يطق غضبنا، ولم يستطع حماية نفسه، أو يدافع عن جواره رغم ما لديه من عتاد وعدة، فقد قتلناه وحبسنا خلينا على مصرعه، ونزلنا لنجمع الغنائم دون خوف من هؤلاء الناس، وهذا دليل على قوتهم، ثم يستطرد قائلاً : " وأنزلنا البيوت . . الخ يذكر له بعض الغارات التي قامت بها قبيلته على بعض البلدان والقبائل مثل : ذي طلوح والشامات، ونفينا منها أعداءنا، وأنزلنا بيوتنا بهذه الأماكن، وأقمنا بهذه البقاع المشار

إليها، وذو الطلوح هذا في حزن بني يربوع بين الكوفة، وفيد، والشامات : بسيرحان مدينة كرمان ورستاق على ستة فراسخ منها من ناحية الجيل يقال له الشامات . .[1] .

ثم يتابع هذه الأخبار الحقيقية والصادقة ـــ كما يراها ـــ ليزيد من خوف ابن هند ورعبه، فيقول : عندما لبسنا أسلحتنا لم نرهب فقط الأعداء، وإنما أرهبنا الحيوانات فهذه الكلاب عندما رأتنا فزعت وهرت خوفاً وفزعاً، وهم بهذه الصورة المفزعة على الأعداء لكنهم ترى فيهم ليناً ومحبة لمن يجاورهم أو يحتمي بهم، فهم يكفونه الحاجة ويحملون عنه التبعة، ويعيش جارهم في أمن واستقرار، وهذا ما يحمله البيت :

نعم أناسنا ونعف عنهم . . . . . .

وكذلك قوله : ونحن إذا عماد الحرب خرت على الأفحاص . . .

وهذه الفعال وتلك الشجاعة ليست وليدة العصر أو مستحدثة فينا، ولكنها أصيلة في أنسابنا قديمة في أعراقنا، فقد ورثناها عن آبائنا السابقين وهم كذلك ورثوها عمن سبقهم فهي متأصلة فينا، وقد علمت قبائل العرب كلها ذلك، وهذا ما يحمله البيت :

ورثنا المجد قد علمت معد . . . ، الخ

ونحن على استعداد لحماية هذا المجد بل والموت دونه حتى لا يضيع، وسوف ندافع عنه بكل ما أوتينا من قوة، حتى يظهر ويتضح لأمثالك الذين لا يرون الشمس في ضحى اليوم المشرق، لأن عيونهم سلب منها النور، ثم يعدد له بعض مظاهر هذه الشجاعة فيقول مثلاً نطاعن بالرماح عندما يبتعد الأعداء ويفر الجبناء، وإذا ما أقبلوا ضربناهم بالسيوف " ونضرب بالسيوف إذا غشينا "، فنحن لا نهرب من المعركة ولا نفر من القتال، كما يفعل هؤلاء، وهم في كلتا الحالتين هلكى، فإذا ما هربوا طعناهم بالرماح التي تصيبهم في المقتل وفي ظهورهم، وإذا أقبلوا ضربناهم بالسيوف وحصدناهم حصداً، ثم عرج على وصف هذه الرماح وتلك السيوف التي يشق بها رؤوس القوم شقاً أو يقطع بها رقاب الأعداء في سهولة ويسر كأنها الحشيش اللين ـــ ثم يقول بعد ذلك تخال

(١) انظر معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩، ج ٣ ص ١١١ .

جماجم الأبطال منهم ... البيت، ورواية هذا البيت في شرح الزوزني هكذا :

" كأن جماجم الأبطال فيها .·. وسوق بالأماعز يرتمينـــا [1]

فهنا شبه جماجم الأبطال ورؤوسهم عندما تقطع بالسيوف، وتشق بالرماح وتلقى على الأرض، كأنها حمل بعير ألقى على أرض صلبة، فهي ملقاة على هذه الأرض كالحجارة الصغيرة ونحن عندما نفعل بهم ذلك، لا أخذاً بثأر، وليس لنا عندهم حق، ومع ذلك فهم لا يدرون كيف يتقونا لأن ما دهمناهم به أفقدهم القدرة على دفعه لأنه من غير سبب، ووصف الجماجم بمثل هذا الوصف يمثل ميل الشاعر إلى المشاهد الدامية الفاجعة، وقد أتى بهذه الصورة ليلقي الروع في قلوب أعدائه فتخور قواهم، وهذا من الأخبار المهمة التي يريد الشاعر أن يخبر بها عمرو بن هند .

ويتابع الشاعر نقل الصور المرعبة والمخيفة عن قومه في قتالهم فيقول : كأن ثيابنا من شجاعة أبطالنا وقوة فرساننا، وكذلك شجاعة فرسان الأعداء، من كثرة ما لطخها من دم القتلى منا ومنهم طليت بأرجوان، أي صارت حمراء قانية وفقدت لونها الأصلي، وكأن سوفنا وسيوفهم في أيدي الفرسان أعواد من خشب يلعب بها، ولا يخفل الفارس لهذا السيف ولا يفر منه، كما لا يخفل اللاعبون بالضرب في المخاريق، وهذا التشبيه قد يكون واقعياً، لكنه يشف بواقعيته عن أجواء الغلو الذي تحفل بها القصيدة [2] .

وقد عاب بعض النقاد هذه الصورة لأنها مفككة المعاني، وغير مترابطة، وفيها تناقض ومنه : أن الدماء لا تسيل من الأعداء فقط، بل منهم ومن أعدائهم، والسيوف كذلك في أيديهم وأيدي أعدائهم، وهذا يناقض ما أثبته لقومه من الشجاعة التي لا نظير لها .

ولكن لا أوافق على هذا الرأي، وأقول إن الشاعر هنا يثبت لقومه شجاعة فائقة وفروسية نادرة عندما تغلبوا على هذا العدو القوي، لأن الخصم القوي إذا ما هزم دل ذلك على قوة خصمه، والفارس الشجاع لا يتحدى الضعيف، فإن فعل دل ذلك على ضعفه، وإنما الشجاع

---

(١) راجع البيت في شرح الزوزني ص ١٧٥ .

(٢) العصر الجاهلي د . شوقي ضيف ص ٢٠٥، ط / دار المعارف، بتصرف .

الواثق من نفسه يتحدى من يكون في قوته أو أشد قوة منه .

وهناك قصائد وأبيات كثيرة سميت بالمنصفات، وفيها اعترف الفارس والشاعر بقوة خصمه، وهذا يدل على أخلاق العربي الذي لا يحمله الكره على الاعتراف بالحق " وليس عمرو وحده الذي يصف خصومه بالشجاعة، فهناك كثيرون اشتهروا بهذا الإنصاف، وتسمى قصائدهم المنصفة، وفي الأصمعيات أمثلة منها [1] .

ويختتم هذه الأخبار عن قومه مخوفاً بها ابن هند قائلاً : إذا ما عجز الناس عن الإقدام، وتأخر الفرسان عن اللقاء مخافة الأهوال المنتظرة والموت المحقق، لم نكن مثل هؤلاء الجبناء، وإنما تقدمنا إلى ساحة الوغى وتعرضنا لذلك الخطب، بخيل قوية عظيمة الهامة كالجبل، أو كتيبة ذات شوكة، محافظة على أحسابنا وسبق خصومنا، وأيضاً نسبق ونغلب بشباب وفتيان يرون القتل في الحروب مجداً، بل إن الضرب في النحور أشرف من الطعن في الظهور، فهم يحرصون على الموت في ساحة المعركة فهذا غايتهم، ونهزم الأعداء أيضاً بالرجال والكهول المدربين والمحنكين الذين سبروا أغوار الحياة وخاضوا الحروب الكثيرة فهم على دراية ووعي بمثل هذه المعارك، وبكل هذا نتحدى الناس كلهم، ونقارع أبناءهم وفرسانهم، مدافعين عن هذا الشرف، وذلك المجد التليد، ونضرب بيد من حديد كل من تسول له نفسه الاقتراب منا أو مس كرامتنا بسوء .

إنها صورة مشرقة من حياة التغلبيين رسمها لنا شاعرهم الملهم عمرو بن كلثوم كما رآها، فهو يصف لنا عادات قومه وتقاليدهم، ومنها أنهم يعطون الناس بسخاء دون تمنن (بلا منٍ) ويحملون عن الناس أثقالهم المادية والمعنوية، ومنها أيضاً أنهم يعفون عن المسيء ولا ينتقمون منه ــ إن أرادوا ــ والسبب في ذلك كله يعود إلى الأصالة فيهم، فقد ورثوا المجد عن الآباء والأجداد، وشهدت لهم بذلك العرب فهم يطاعنون المسيء والمعتدي حتى يمتثل لهم ويكف عن إيذائهم مستخدمين في ذلك الوسائل والمعدات الحربية المشهورة في ذلك الزمن، ومنها السيوف البتارة والرماح المستقيمة، التي يشقون بها الرؤوس ويقطعون بها الرقاب، وتتساقط هذه الرؤوس بعضها فوق بعض، وكأنك في مشهد ترقب فيه أحمال البعير ملقاة في أماكن وعرة، وصورة أخرى ومشهد

(١) راجع : العصر الجاهلي د . شوقي ضيف ص ٢٠٥، وراجع الأصمعيات .

آخر ترى فيه ثياب المقاتلين وقد لطخت بالدماء، وكأنها صبغت بالأرجوان أو طليت به، صورة أخرى وهي السيوف في أيدي الفرسان وكأنها أشبه ما تكون بسيوف من خشب يلعب بها الأطفال، مشهد آخر من مشاهد البطولة التي يرسمها لنا الشاعر في معلقته وهي رؤية جماعة من الناس قد أعياها القتال إما خوفاً من هول المعركة وإما لكثرة الإصابات فيهم، وهنا نرى جماعة من الأبطال يشكلون كتيبة قتالية تولت حمايتهم والدفاع عنهم فيقول : " إذا ما عيّ بالأسناف .. البيت ـــ كما مر ـــ .

المقطع الرابع من هذه المعلقة، ويمكن أن نضعه تحت عنوان: " تهديد ووعيد " وهذا انتقال منطقي ومعقول لأنه جاء بعد هذه الأخبار، التي أنبأ بها خصمه عمرو بن هند عن قومه وشجاعتهم، ورسم لنا تلك الصور التي تخلع قلوب الأعداء، عندما أراد الخصم أن يذلهم ويعتدي عليهم، فقال له : انتظر حتى نعرفك من نحن ؟ لأنك تجهل قدرنا، وتتجاهل شجاعتنا وفروسيتنا ومجدنا الذي ورثناه عن آبائنا والذي تعرفه العرب .

وبعد هذه الأخبار وتلك الصور كان لابد من التهديد والوعيد الذي جاء بأسلوب الاستفهام الإنكاري والتعجبي قائلاً [1] :

بأي مشيئة عمرو بن هنـــــد
نكون لقبلكم فيها قطينـــــا
بأي مشيئة عمرو بن هنـــــد
ترى أنا نكون الأرذلينـــــا
بأي مشيئة عمرو بن هنـــــد
تطيع بنا الوشاة وتزدرينـــــا
تهددنا وتوعدنا رويـــــداً
متى كنا لأملك مقتوينـــــا
وإن قناتنا يا عمرو أعيت على

(١) جمهرة أشعار العرب، دار صادر ص ١٤٣ ـــ ١٤٤، بدون تحقيق، بدون تاريخ .

الأعـــداء قبلك أن تلينـــــا

إذا عض الثقاف بها اشمـــأزت

وولتـــه عشو زنة زبونـــــا

عشو زنة إذا غمزت أرنـــت

تشج قفا المثقف والجبينـــــا

فهل حدثت عن جشم بن بكـــر

بنقض في الخطوب الأولينـــــا

ورثنا مجد علقمة بن ســـيف

أباح لنا حصـــود المجد دينـــا

ورثت مهلهلاً والخير منـــــه

زهيراً نعم ذخراً لذاخرينـــــا

وعتاباً وكلثومـــاً جميعـــــاً

بهم نلنا تراث الأكرمينـــــا

وذا البرة الذي حدثت عنـــــه

به نحمي ونحمي المحجزينـــــا

ومنا قبـــلهِ الساعي كليـــب

فأي المجد إلا قد ولينـــــا

متى تعقد قرينتنا بحبـــــل

تجذ الحبل أو تقص القرينـــــا

ونوجد نحن أمنعهم ذمـــــاراً

وأوفاهم إذا عقدوا يمينـــــا

ونحن غداة أوقد في خـــــزازي

رقدنا فوق رقد الراقدينـــــا

ونحن الحابســـــون لذي أراط

تسف الجلة الخور الدرينـــــــــا

فكنا الأيمنين إذا التقينـــــــــا

وكان الأيسرين بنو أبينـــــــــا

فصالوا صولة فيمن يليهـــــــم

وصلنا صولة فيمن يلينـــــــــا

فآبوا بالنهاب وبالســـــــــبايا

وأبنا بالمـــــلوك مصفدينـــــــــا

بعد هذه الأخبار اليقينة التي ساقها الشاعر عن قومه ليرعب خصمه عمرو بن هند، ويوقفه من خلالها عند حده، وحتى لا يتمادى في غطرسته، يتوجه إليه بهذا التهديد الشديد، وذلك الوعيد متسائلاً ومنكراً عليه مثل هذه الأفعال : متى كنا أو نكون لكم خدماً ؟ وكيف يتسنى لك أن تطيع وتستمع إلى من ناصبنا العداء ؟ وكيف يجوز لكم أن تنزلونا منزلة الأراذلة والضعفاء الأذلاء ؟ فنحن أهل العزة والشرف والسيادة، بل كيف تصدق الكذب والوشاية ؟ فرحت تهددنا وتتوعدنا وعمدت إلى إذلالنا ـــ عن طريق استخدام أمه وإذلالها كما مر ـــ ألم تعلم أن هناك قبلك من الأعداء حاولوا أن يصنعوا صنيعك هذا ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً، وباءوا بالخذلان بعد أن أعملنا فيهم سيوفنا ورماحنا فقطعنا رقابهم وشققنا رؤوسهم حتى وصلت إلى الجبين، وهل نسيت الروايات التي تحدثت عن جشم بن بكر وما أصابه نتيجة لنقضه العهود معنا ؟ وهنا يترع الشاعر من الأسلوب المباشر إلى مثل هذا التساؤل والتعجب لإثارة القارئ وإضفاء الغلو والحماس على معانيه .

والشاعر لا يأتي بمثل هذا الأسلوب وبتلك الإثارة من فراغ، وإنما يأتي بالأدلة على هذه الأنفة والعزة لقومه من قديم، فيقول له : إن عزنا منيع لا يرام، وقد عجز أعداؤنا عن كسر شوكتنا، أو هزيمتنا وإذلالنا، واسأل التاريخ يجيبك، وارجع إلى البيت : " فإن قناتنا يا عمرو أعيت .. " وانظر إلى تلك الصورة التي في هذا البيت " إذا عضَّ الثقاف بها اشمأزت ... " إنه يشبه قومه بالحديد الذي يستعصي حتى على النار، فيأخذ جهداً ووقتاً من الحداد " الثقاف " وظلت قوية

صلبة، وربما أصابت هذا الثقاف الذي يريد ثني تلك القناة (الحديدية) في جبينه وقفاه، فكذلك عزهم لا ترام، ومن أرادها هلك وانتهى خبره من على ظهز البسيطة، وهذا لا يخلو من غلو لكنه مقبول في مثل هذه المواطن، خاصة بمنطق العصر الجاهلي .

ثم يولي وجهه نحو التاريخ ويوظف أحداثه بشكل جيد في خدمة غرضه، وهو إثبات عزة قومه وشجاعتهم، وأن لهم في الماضي الأمجاد التي حققها الآباء والأجداد، فمن هم أصحابها من آبائه وأجداده ؟ وأول ما يذكره الشاعر من هؤلاء الأجداد هو علقمة بن سيف ابن شرحبيل بن مالك بن سعد .. بن تغلب بن وائل، وهذا الرجل حين أصابتهم المجاعة في أرضهم رحل بهم مغيراً حتى أنزلهم الجزيرة بالعراق بعد وقائع وحروب، فملكوها ونعموا بخيراتها [1] ثم أورثها أبناءه حتى صارت من حق تغلب، وهذا المجد وذلك الفعل منه أصبح لنا عادة وعرفاً ندين به، ثم ذكر المهلهل ذلك البطل، وهو عدي بن ربيعة ابن مرة ... أبو ليلى الشاعر المعروف من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد، وهو خال امرئ القيس، وأخوه كليب الذي ضرب به المثل في العزة والسؤدد ونشبت بينهم وبين بني عمومتهم حرب البسوس المعروفة، وقد استمرت على ما يقال زهاء أربعين سنة، وكان للمهلهل منها العجائب والكثير من الأخبار التي تقترب من الأساطير، وهو ـــ كما مر ـــ جد عمرو بن كلثوم لأمه، وهي ليلى بنت مهلهل، ثم يذكر بعد ذلك من أبطال التاريخ الذين ورث عنهم هذا المجد بعد علقمة والمهلهل، زهيراً وهو أفضل منهما، وكذلك عتاباً وكلثوماً، وأيضاً ذا البرة الذي عرفت خبره فهو مشهور ومعروف عند الجميع بمجده وشرفه، وكذلك الساعي إلى المعالي " كليب " وأي مجد لم نتقرب منه ونحوزه ؟

ثم يعمد إلى المفاضلة بين قومه وبين الآخرين، من خلال النياق التي يملكونها فيقول إن ناقتهم إذا قرنت بسواها قطعت رسنها، أو دقت عنق القرين، أي أنهم إذا قرنوا بقوم آخرين غلبوهم بالقتال ونقروا عنهم وأوقعوا بهم، وهذا ربما يكون من المبالغات المقصودة لتهديد خصمه، وهنا نلاحظ أن الشاعر استخدم ضمير " نا " الدال على الجماعة ثم يعدل عن هذا إلى الضمير " نحن " وهو يدل على الجماعة أيضاً، لكنه أقوى في التعبير، لأنه يبدأ به فيقول " ونحن غداة، أوقد،

(١) شرح ديوان امرئ القيس .. السندوبي ص ٣٥٧، ط دار إحياء العلوم، بيروت، سنة ١٩٩٠ .

ونحن الحابسون.. ونحن الحاكمون.. ونحن.. ونحن .. ففي هذه الأبيات يوجه هذا التهديد بلهجة شديدة قوية، ومبالغة جاوزت حد المعقول فهم لا يوجد مثلهم في القوة والعزة والشجاعة، فهم أمنع ذمة وجواراً وحلفاً، وأوفاهم باليمين عند عقدها، وهذه من أخلاقيات الفرسان والأبطال، ثم يسوق بعض الأدلة ــ أيضاً ــ من الواقع والتاريخ، فيقول : تذكر ما حدث في يوم خزازي، وهو يوم من أيام العرب، وكان بين ربيعة واليمن، أعنا نزار فوق إعانة اليمنين، وانتصرت ربيعة قبيلة كليب انتصاراً حاسماً وعظيماً على اليمنين، فهذا يضاف إلى مجد الشاعر وشجاعة قومه، ومن كرمهم أنهم أعطوا المحتاجين بذي أراطي وهو مكان كانت فيه بعض مواقعهم حيث نحروا الإبل ذات اللحم والشحم، أو حبسوا هذه الإبل كثيرة الألبان ليشرب منها هؤلاء الناس.

ثم يوضح عمرو بن كلثوم صورة الحرب ومن كان يخوضها، والأنصار والأعوان المشاركين فيها، فإذا خاضت قبيلته الحرب رأيتها تأخذ ميمنة الأعداء، في حين تأخذ الميسرة أبناء أعمامهم مضر ابن نزار، وربيعة بن نزار، فكان هؤلاء يصولون صولة، وأولئك صولة أخرى، وما إن انتهت المعركة بالنصر حتى كان نصيب أبناء عمومتهم النهب والسلب والغنائم، بينما كان نصيبه هو وعشيرته أسر الملوك وأخذهم مصفدين، مقيدين في الأغلال، وهنا ينقل له صورة تغلب وعزها وأنفتها، فهي لا تريد الأشياء المادية التي يريدها غيرهم، بل تهمها الأشياء المعنوية، فإذا ما سولت لك نفسك أيها الملك بظلمهم أو بذلهم، لا يتركوك أبداً تعيش حراً، بل سيأخذونك أسيراً مقيداً في السلاسل، لتعيش عبداً ذليلاً فهم لا يرضون إلا بهذا ولا يقتنعون إلا به، أرأيت تهديداً ووعيداً أشد من ذلك ؟ !!

وبعد هذا التهديد وذلك الوعيد نأتي إلى المقطع الخامس من هذه القصيدة الرائعة، ونستطيع أن نضعه تحت عنوان : " إلى بني بكر " وهو فخر مطلق فيه الكثير من المبالغات، ونرى فيه جموح عقل الشاعر وفكره، واعتداده بعشيرته إلى أبعد الحدود والغايات، يقول [1] :

إليكم يا بني بـــــــكر إليـــــكم
ألما تعلموا منا اليقينـــــــــــــا ؟

(١) راجع القصيدة : في جمهرة أشعار العرب ص ١٤٥، ط / دار صادر، بدون تاريخ وتحقيق .

ألما تعلموا منـــا ومنـــــكم
كتائب يطعـــن ويرتمينـــــا ؟
نقود الخيل دامية كلاهـــــــا
إلى الأعداء لاحقة بطونـــــــا
عليها البيض واليلب اليمـــاني
وأسياف يقمن وينحنينـــــــا
علينـــــا كل ســـــابغة دلاص
ترى تحت النجاد لها غصونـــــا
إذا وضعت عن الأبطال يومـــــاً
رأيت لها جلود القوم جونـــــا
كأن متوهن متون غـــــــدر
تصفقها الرياح إذا جرينـــــــا
وتحملنا غداة الروع جـــــرد
عرفن لنا نقائذ وأفتلينـــــــا
وردن دوارعاً وجرحـــن شعـثاً
كأمثال الرضائع قد بلينـــــا [1]
ورثناهن عن آباء صـــــــدق
ونورثهـــا إذا متنا بنينـــــا [2]

ونظرة سريعة إلى هذه الأبيات نرى من خلالها أن الشاعر يذكر البكريين بأسلوب تهديدي تلك المعارك التي حدثت بين التغلبيين قومه، والبكريين، وهم من أبناء عمومتهم، حيث تقابلت الكتائب من هنا وهناك، وكيف قاد أبطال تغلب وفرسانها التغلبيين على الخيل لمقاتلة أعدائهم،

(١) الجمهرة ص ١٤٥، ١٤٦ .
(٢) المرجع السابق .

وهناك كانت الدماء تسيل، ويصف الشاعر ما كانت ترتديه فرسان قومه، فإذا هو اللباس اليماني الفاخر ويحملون السيوف البتارة التي ترتفع وتنخفض على جنوبهم، وفوق ذلك كله كانت الدروع التي تقي المحاربين ضربات الأعداء، وقد ارتدى الفارس تحت هذا الدرع النطاق المتثني حتى يساعده على سرعة الحركة وحريته فيها، وهذا الدرع إذا ما وضعت بعد الحرب عن جلود أصحابها رأيت تحتها الجلود السوداء من آثار الحمل وطول مدته وغصون هذه الدروع أشبه ما تكون بمتون الغدران التي تحركها الرياح ٠

وتحمل الشاعر وقومه ــ ضد البكريين في حرب البسوس ــ أو غيرهم في مواقع القتال وإلى ساحات الوغى الخيول الجرداء المجربة لينقذن بعض من هدد من الأعداء بالأسر فيقول : " وتحملنا غداة ٠٠ البيت إنها الحرب الباردة التي شنها عمرو بن كلثوم على خصومه بجانب الحرب الحقيقية الساخنة، وهي حرب الكلمة التي لا تقل عن حرب السيوف والرماح ٠

فهذا زجر لبني بكر وغيرهم أن ينافسوهم السيادة أو الاقتراب من التغلبيين، لأنهم لم يتيقنوا من تفوقهم الكاسح في الحروب التي دارت بينهم، وقد احتشد لها هؤلاء الأبطال من تغلب بأسلحتهم الحربية الكاملة، وقد وصف هذه الأسلحة، فمثلاً كانت دروعهم سابغة ومحكمة السرد والنسج، واسعة بحيث تنثني عليهم للينها وسعتها، وهي لا تكاد تفارقهم، ولذلك أثرت في أجسادهم، وهي تبدو في بريقها ولمعانها وانكسار الضوء عليها، وكأنها مياه غدير رائقة تحركها الرياح فتهتز وتتكسر أمواجها صانعة من الماء أشكالاً متحركة ٠

وهنا نرى تصوير الدرع بالماء صورة جاهلية خالصة كانت منتشرة في الشعر الجاهلي، وتعد استخداماً تصويرياً غريباً فهي رمز متداخل للموت ــ أدوات القتال ــ والحياة ــ نبع الماء ــ، وذلك لأن أدوات القتال تكون موتاً ودماراً للمنهزم، لأنها آلة هذا الدمار والخراب والموت، وتكون سبباً في حياة متجددة للمنتصر، لأنها كذلك آلة للنصر وقهر العدو، وبعده يعيش المنتصر في حياة جديدة كلها عزة وكرامة وسيادة، ولكن لماذا وصف الدرع من بين سائر أدوات القتال ؟ لأن الدرع ينفرد من بين هذه الأسلحة بأنه سلاح حماية لا أداة قتل، فهو لا يوقع الأذى بالآخرين، وإنما فقط يحمي صاحبه ويحتويه، وكأنه نبع مائي يلوذ به أهل الصحراء العطشى إلى الأرض وإلى

الماء على الدوام، فيلوذ المقاتل وهو في قلب الموت بهذا الدرع الذي يشبه التميمة السحرية التي تحميه، ولنتخيل أنه يحيط جسده بنبع مائي غزير، وكأنما يتفاءل ببقائه حياً طالما كان نبع الماء ملتفاً حول جسده، يتحدى الموت والفناء، وهذا يذكرنا بقصة الذبيح إسماعيل ووالده الخليل إبراهيم ــ على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ــ عندما أمره الله ــ تعالى ــ أن يرحل به هو وأمه إلى الجزيرة العربية، ويتركهم هناك، وكان من دعائه : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... " [1] فهو يقصد أن المكان قليل الماء بدليل خلوه من الزرع، وأيضاً يذكرنا بقول الله تعالى : " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ... " [2] والقرآن نزل بلغة العرب وبأساليبهم.

وينهي الشاعر هذه المعلقة بمثل صياحه السابق وبصوته الصاخب وفخره الهادر وكأنه يناطح السحاب، إنه التطاول على الآخرين، والشموخ المتجاوز، والازدراء والاستعلاء على كل البشر، سواء في ذلك عمرو بن هند وقومه، أو بنو بكر منافسوهم التقليديون أو كل القبائل من حولهم، ولذلك نستطيع أن نضع هذه النهاية تحت عنوان : " إلى كل القبائل " فهذا تهديد عام ووعيد شديد اللهجة، ويبدأ هذه الأبيات بقوله :

وقد علم القبائل غير فخـــــــر
إذا قبـــب بأبطحها بنينـــــــــا
بأنا العاصمون إذا أطعنـــــــــا
وأنا الغارمـــــــون إذا عصينـــا
وأنـــــا المنعمون إذا قدرنـــــا
وأنا المهلكون إذا أتينـــــــــا
وأنا الحاكمـــــون بما أردنـــا
وأنا النازلون بحيث شـــــــــينا

(١) سورة إبراهيم الآية : ٣٧ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٣٠ .

وأنا التاركون لما سخطنـــــا

وأنا الآخذون لما هوينـــــــا

وأنا الطالبون إذا نقمنـــــــا

وأنا الضاربون إذا ابتلينـــــــا

وأنا النازلون بكل ثغـــــــر

يخاف النازلون به المنونـــــــا

ونشرب إن وردنا الماء صفـــواً

ويشـــرب غيرنا كـــــدراً وطينـــا

ألا سائل بني الطمـــــاح عنـــا

ودعمياً فكـــــيف وجدمونـــــــا

نزلتم منزل الأضياف منـــــا

فعجلنا القرى أن تشتمونـــــــا

فريناكم فعجلنا قراكـــــــم

قبيل الصـــــبح مرداة طحـــــونا

متى ننقل إلى قوم رحـــــانـــا

يكونوا في اللقـــــاء لها طحينـــــا

يكون ثقالها شرقي نجـــــــد

ولهوقـــا قضاعة أجمعينـــــــا

على آثارنا بيض حســـــــان

نحـــاذر أن تفارق أو تهونـــــــا

ظعائن من بني جشم بن بـــــكر

خلطن لميسم حســـــباً ودينـــــــا

أخذن على فوارسهن عهـــــداً

إذا لاقوا فوارس معلمينـــــــا

ليستلبن أبداناً وبيضـــــــــاً

وأسرى في الحديد مقرنينـــــــا

إذا ما رحن يمشين الهوينـــــى

كما اضطربت متون الشاربينـــــا

يقتن جيادنـــــا ويقلن لســـــتم

بعولتنا إذا لم تمنعونـــــــــــا

إذا لم نحمهن فلا بقينـــــــــا

نجير بعدهن ولا حيينـــــــــــا

وما منع الظعائن مثل ضـــــــرب

ترى منه السواعد كالقلينـــــــا

كأنا والســـــــيوف مســـــــللات

ولدنا الناس طراً أجمعينـــــــا

ترانا بارزين وكل حـــــــــــي

قد اتخذوا مخافتنا قرينـــــــــا

إذا ما الملك سام الناس خسفـــــاً

أبينا أن نقر الخسف فينـــــــا

لنا الدنيا وما أضحى عليهـــــــا

ونبطش حين نبطش قادرينـــــــا

ملأنا البر حتى ضـــــاق عنـــــا

كذاك البحر نملاؤه سفينـــــــــا

نسمى ظالمـــــــين وما ظلمنـــا

ولكنا سنبدأ ظالمينـــــــــــا

تنادي المصعبان وآل بـــــــكر

ونادوا يا لكندة أجمعينـــــــــا

فإن نغلب فغلابون قـــــــــدماً

وإن نغلب فغير مغلبينـــــــــــا

إذا بلغ الفطـــــام لنا وليـــــــد

تخر له الجبابر ساجدينـــــــــا [1]

وبعد أن انتهى الشاعر من هذا الاستعراض المرعب الذي قدمه لبني بكر ــ في المقطع الخامس ــ وجه حديثه في هذا المقطع ــ السادس ــ إلى العرب جميعاً، الذين يدركون بالضرورة مدى عظمة بني تغلب وقد أكد الشاعر هذه المعرفة للعرب بقومه " بقد " التي تفيد التحقيق، فالقبائل العربية تشهد بدون مواربة أن تغلب هي التي تبني القباب في أبطح الصحراء، لتدل على أن المجد ينبعث منها، وقد علمت القبائل أيضاً أن تغلب هي تعصم الناس المطيعين لها، وأنها ترغم من يعصاها على دفع الغرامة " الإتاوة " كجزاء على تلك المعصية، فهم المتكرمون والقادرون على العفو، حين يرغبون، حتى يطمع في سماحتهم، وعفوهم الناس .

ولكنهم المهلكون للآخرين إذا ما تجاوز بهم الطمع إلى الرغبة في قتالهم، وهم الذين يمنعون ما يريدون حمايته، ويتركون ما لا يرضيهم، ويأخذون ما يعجبهم، بكل سهولة، ولا يستطيع أحد أن يقف في وجوههم، أو يحول بينهم وبين ما يريدون تحقيقه أو غصبه من الآخرين، وهم الذين لا تحدهم حدود فأرضهم وديارهم وموطنهم حيث شاءوا، والمكان الذي يريدون النزول فيه هو مكانهم وملكهم دون أن يجرؤ أحد على التصدي لهم، أو منعهم من هذا المكان، فإن أطاعهم البشر حفظوهم، وعاش هؤلاء الناس في كنف تغلب وحمايتها، وإن شئت قلت عاشوا عبيداً، وإن عصوهم أو تمردوا عليهم أهلكوهم وقضوا عليهم، وقد استحقوا ــ حسب قانون القوة الجاهلية ــ أن ينالوا كل طيب يشتهونه في الحياة، ولا يتركون لباقي البشر إلا الثمالة التي تتبقى عنهم وعلى الآخرين القبول بها والرضوخ قهراً، فهذا كرم منهم، فلنتأمل كيف يضرب المثل بالماء لتصوير جماع ما في الحياة من خير" :

---

(١) راجع القصيدة وهذه الأبيات في شرح ديوان امرئ القيس جمعه وحققه الأستاذ حسن السندوبي ص ٣٦١، وما بعدها

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ∴ ويشرب غيرنا كدراً وطينا

ثم يذكر بعض القبائل العربية التي عادتهم من قبل بما حدث بينهم، وكيف عرفوا بالتجربة قوة بني تغلب التي تأبى الخضوع لظلم الملوك، حتى وإن قبلته الناس جميعاً، فهم رافضون للضيم أو للذل بجميع صوره وأشكاله، وأياً كان صاحبه .

" ثم يغلو عمرو ــ كما عهدناه ــ أكثر مما غلا فيفتخر على الدنيا كلها ــ لا العرب فقط، بكل من عليها وبكل ما عليها، وإذا كان يأبى أن يظلمه أحد فهو لا يتورع ــ هو أو قومه ــ عن التنكيل بغيره، والابتداء في ظلم غيرهم، فقد سبق أن جرَّد الناس ــ ما عدا ــ قبيلته من بشريتهم، ولذا فهو لا يرى عجباً في أن يعاملهم بهذه العدوانية الفظة، وإن كانت مناسبة العمل قد تغفر له قليلاً حين نتذكر أنه كان بصدد إهانة عميقة وجهت إليه أو إلى أمه .

ثم يبالغ في الافتخار بقومه وبأنهم أعز الناس نفراً وأكثرهم عدداً حتى ضاق عليهم البر، ففكروا في غزو البحر، فأي جيش هذا الذي يضيق عنه هذا الفضاء الفسيح وتلك الصحراء الواسعة ؟

ولا يتركنا الشاعر قبل أن يشبع " ماديته " وغريزته المتسلطة ونفسيته المتعطشة إلى الدماء، وإحساسه العميق بالاستعلاء، حتى يرى ضرورة أن العالم بأسره لبني تغلب، لا لسادتهم وقادتهم فحسب، بل ولأطفالهم الرضع أيضاً، الذين إذا تجاوز أحدهم الرضاع إلى سن الفطام فحسب، وجب على جبابرة الأرض ــ لا على العامة من البشر ــ أن يسجدوا له سجدة الهيبة والتعظيم والخشوع وإعلان الولاء، بل سجدة العبودية، وهذا غاية الغطرسة، وبطبيعة الحال هذا لا يمكن أن يتحقق في الواقع مهما كانت قوة هذا المتكلم، لكن ربما تغطرس بعض الملوك بأكبر من هذا ــ في الأمم السابقة ــ وقبل الإسلام، مثل فرعون ــ لعنه الله ــ الذي قال : " أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى " [1]، ومثل النمرود ــ لعنه الله ــ الذي قال : " أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ " [2] وهذه طبيعة البشر الذي يزين له

(١) سورة النازعات آية رقم ٢٤ .

(٢) سورة البقرة من الآية رقم : ٢٥٨ .

الشيطان سوء عمله، نعوذ بالله من أمثالهم، ولكن " القوة لله جميعاً، والسجود لا يكون إلا له، ولنا أن نذكر دائماً في مثل هذه المواقف : " وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً "[1] وقوله تعالى : " وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً ... "[2] .

إن الشاعر هنا لا يقل عن هؤلاء من خلال شعره، فهو ـــ كما قال ـــ يرى أن الدنيا وما عليها من بشر أو حيوانات أو غيرها لهم وتحت سيطرتهم، ورعايتهم يقاصصون من يشاءون، ويصفحون عمن يشاءون، واقرأ هذه الأبيات مرة أخرى من قوله : " بأنا العاصمون .. وأنا الغارمون .. وأنا الحاكمون بما أردنا ... إلى آخر قوله : " لنا الدنيا وما أضحى عليها .. وقوله : " إذا بلغ الفطام لنا وليد ..[3] .

(١) سورة النساء من الآية رقم (٢٨) .

(٢) سورة الإسراء من الآية رقم (٣٧) .

(٣) راجع هذه الأبيات في موضعها من هذا البحث .

الفصل الثاني

لمحات فنية في هذا الفخر

ونرى أن شعر عمرو عبارة عن أداة للتعبير عن خيلائه، تتكاثر فيه الصور المصبوغة بالدم، وتتراكم عبره جثث القتلى، ويتعالى فيه قتار المعارك للطير والوحوش، حتى عد ذلك الشعر نموذجاً للشعر الحربي الذي تتمثل فيه فضائل الفروسية العربية الكلاسيكية، خير تمثيل، وليته تغنى بلسان الفرد، وإنما عبر عن الجماعة، لأنه ولد في الترف تحيط به العظمة من كل جانب، لهذا جاء شعره تفاخراً بقومه فضلاً عن ذاته [1] .

هذا، وقد عده ابن سلام على رأس الطبقة السادسة من طبقات الشعراء الجاهليين، وقرنه بالحارث بن حلزة اليشكري ـــ كما مر ـــ الذي فاخره بحضرة عمرو بن هند، وعنترة بن شداد، وسويد بن أبي كاهل، فقال : " الطبقة السادسة أربعة رهط لكل واحد منهم واحدة أولهم عمرو بن كلثوم بن عتاب بن سعد .. وله قصيدته التي أولها : " ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... " [2] .

وفي خزانة الأدب، ذكر البغدادي عن معاوية بن أبي سفيان قوله: قصيدة عمرو بن كلثوم، وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب كانتا معلقتين بالكعبة دهراً .. " [3] .

وقال ابن قتيبة : " قصيدة عمرو بن كلثوم من جيد شعر العرب وإحدى السبع، ولشغف تغلب بها قال بعض الشعراء هاجياً لهم :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة ∴ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهـــم ∴ يا للرجال لفخر غير مسئوم [4]

وفي ديوان المعاني، يقول أبو هلال العسكري " ولا أعرف في افتخار الجاهلية أجود ولا

---

(١) راجع موسوعة الشعر العربي، ص ٤٢١، مرجع سابق .

(٢) طبقات الشعر لمحمد بن سلام الجمحي ص ٦٤ .

(٣) خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٥١٩ .

(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٨، ١٣٩ .

أبلغ من قول عمرو بن كلثوم :

ونحن الحاكمون إذا أطعنا ∴ ونحن العانفون إذا عصينا

ونحن التاركون لما سخطنا ∴ ونحن الآخذون لما رضينا

ومن أبلغ ما قيل في السيف وإعماله، قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم ∴ مخاريق بأيدي لاعبينا [1]

ويرى وهب رومية : " أن عمرو ابن كلثوم كان في قصيدته على طولها يصدر عن موقف واحد، وهو موقف الفتى القبلي حين يغدر به صاحبه، أو يخون وده، وأن حديث الظعائن هو حديث عن هذا الفراق الذي دفعت إليه الخيانة والغدر .. " [2].

فشاعرية ابن كلثوم تعبر عن مشاعر جماعية، وبواعثها قبلية، وتتحول فيها القصيدة إلى نشيد جماعي يتحدث فيه الشاعر عن قيمتها وصراعها مع القبائل الأخرى .

وخير ما يمثل هذا الفخر تلك المعلقة الرائعة لشاعرنا الفارس سيد قومه " عمرو بن كلثوم "، والتي كانت من أروع ما قيل في هذا الاتجاه، ولذلك نقل " ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي عن خبر روي عن معاوية بن أبي سفيان ـــ رضي الله عنه ـــ أنه قال : "..قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب، كانتا معلقتين بالكعبة دهراً، وإن كان يشك في شعر هذا الشاعر، وينقل هذا الشك عن الدكتور طه حسين [3]" وهذا الشك يتمثل في :

١ ـــ كثرة الأساطير في حياة عمرو بن كلثوم .

٢ ـــ رقة لفظ شعره وسهولته وقريب فهمه، وأرى أن هذا ليس سبباً للشك فكثير من شعراء

---

(١) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري ج ١ ص ٩٠، ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) راجع : الرحلة في القصيدة العربية لوهب رومية، ط / أولى سنة ١٩٧٥، ص ٣١١ .

(٣) راجع : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية د . ناصر الدين الأسد، ص ١٧١، ص ٣٩٧، ٣٩٨، وفي الأدب الجاهلي د . طه حسين ص ٢٢٠ وما بعدها .

الجاهلية من سهل شعره وعذب لفظه وقرب مأخذه، ولم يشك فيه أحد .

ومن ثم ألاحظ على فخر عمرو بن كلثوم، أنه سهل منسجم في رنته الموسيقية، فهو أصدق مثال للشعر الغنائي، وهذه المعلقة مع ما فيها من عناصر ملحمية في ذكر الحروب، وتمجيد لقومه، وتصوير الحياة البدوية وما فيها من صراعات حول البقاء أو السيادة، وهي على غلوها ومكاثرتها معجبة محببة، لبعدها عن التكلف، وإذا غالت فإنما تتكلم بعاطفتها لا بعقلها، والشعر الجيد ما كانت فيه العاطفة قوية متأججة، لعب فيه الخيال والشعور دوراً كبيراً، وليس مجرد نقله للواقع الحرفي، ومن ثم كان الفخر عند ابن لثوم عاطفي محض، لا سلطة للعقل فيه، فالمعلقة ـــ كما مر بنا ـــ من ناحية التفاخر شعلة من نار، وثورة غاضبة، وكبرياء صارخ، وعاطفة جامحة، لا تلقي للمنطق بالاً، يقولها سيد في قومه، وفارس في قبيلته، وشاعر في عشيرته، يعتز بتلك السيادة وهذه العزة وتلك القوة التي لا يرى لها في العالم نظيراً في ذلك الوقت، وقد انتصر لهذه السيادة بشيء كثير من الغرور والزهو والغطرسة، وإلا فما تفسير قوله السابق.. " ملأنا البر حتى ضاق.. " البيت وقوله " لنا الدنيا .. " وقوله : " إذا بلغ الفطام .. " .

فأي أسطول له وأي كتائب من الجند كان يملكها ليملأ البحر سفناً والأرض جنوداً ؟ وكذلك أي دنيا كان يملكها ؟ .. وأما سجود الجبابرة لصغار قومه فيدلك بالتأكيد على جموح فكر الشاعر واعتداده بقومه ونفسه إلى أبعد الحدود والغايات .

ومن خلال دراستنا لفخر الشاعر في معلقته نستطيع القول بأنها لينة الشعر، سهلة الألفاظ، تجري ألفاظها كالسيل الجارف، الذي يناسب هذا الفخر الذي تجاوز فيه صاحبه كل ضوابط العقل، وأيضاً هذه المعلقة تثير معانيها كل من يقرؤها وهذه الملحمة ـــ إن صح أن نطلق عليها هذا المصطلح ـــ التي نظمها عمرو بن كلثوم في مفاخر قومه أغاظت كثيرين كما رأينا، وأفرحت كثيرين، لأن الشاعر لا يتحدث فيها عن حدث فردي أو خاص، وإنما يتحدث عن حدث جماعي، أدته الجماعة، مثل الطقوس الدينية التي تؤدي بشكل جماعي، ولذلك فإن هذه القصيدة تمثل نشيداً جماعياً للقبيلة، ومن ثم فهي تعبر عن الاتجاه العام لا الخاص، ومن أبرز ملامح التعبير عن هذا الاتجاه الجماعي كثرة استخدام الشاعر لضمائر الجماعة، كما رأينا .

لكن من خلال هذه الدراسة يتضح لنا أن المعلقة تفتقر إلى وحدة عضوية تتراص فيها أبياتها الشعرية مثل القصائد الأخرى مثل معلقة امرئ القيس مثلاً أو معلقة عنترة بن شداد أو زهير أو لبيد بن ربيعة، ولكن يطغى على هذه القصيدة البيت الشعري بمعنى أنه يكاد يكون مستقلاً بذاته وعلاقته بغيره من الأبيات واهية، ويمكن تقديم الأبيات وتأخيرها على غير ترتيب، دون أن يخل ذلك في بناء القصيدة، كما أن هذه المعلقة تفتقر ــ أيضاً ــ إلى التعبير الفني المشحون بالصور الشعرية البعيدة عن الأسلوب التقريري الخطابي، وإن كانت فيها بعض الصور الفنية الرائعة، وتتكئ المعلقة على إيقاع صاخب يحاكي روح المعركة من ناحية، ويؤدي أدوار النشيد الجماعي من ناحية أخرى، وينجلي ذلك من خلال ظاهرة التكرار المتفشية في القصيدة، والتي عابها أحد الباحثين وأخذها على عمرو بن كلثوم فيقول : " .. نجد أن الشاعر يتكرر كثيراً في أبياته دون تنسيق أو تنميق، .. فانظر كيف تتكرر المعاني في غير نظام ولا تنسيق، ويبدو من مجرد قراءة القصيدة أن الشاعر ليس مجوداً يقول كل ما يجيء على لسانه دون نظر أو روية، فتتكرر الأفكار بطريقة سقيمة، ولم يستطيع أن يكون كالشعراء المجيدين، في وقوفهم عند الفكرة التي يطرقونها حتى يستوفونها ثم ينتقلون إلى غيرها، حتى يستكملون أغراض القصيدة .. "[1] .

ويمكن أن نشير إلى ظاهرة التكرار في هذه المعلقة من خلال الأبعاد التالية، ولكن بإيجاز :

١ ــ تكرار الحرف : ولا نريد أن نتوقف عند كل الحروف التي كثر تكرارها، ولكن عند حرف " النون " الذي تعتمده القصيدة حرف روي لها وهو يؤدي وظيفة جماعية، لأنه يعبر عن الجماعة غالباً، وأمثلة ذلك كثيرة، وذلك مثلاً المقطع الذي يبدؤه الشاعر بقوله : " أبا هند فلا تعجل علينا ... إلى آخر هذا المقطع .

٢ ــ تكرار الكلمة، وقد تكررت " نا " و " نحن " في كثير من الأبيات فارجع إليها .

٣ ــ تكرار مقطع، ويكون على لونين :

أ) أن يكرر الشاعر العبارة نفسها في أكثر من بيتين كما في قوله : " بأي مشيئة عمرو بن هند

(١) راجع في مرآة الشعر الجاهلي د . فتحي أحمد عامر، ص ٢٩٢، ط / منشأة المعارف، الإسكندرية .

. . . . . " الأبيات .

ب) أو أن يكرر المقطع بتوازن إيقاع مفرداته، كما في الأبيات : " كأن سيوفنا منا ومنهم .. "و" كأن ثيابنا منا ومنهم " و" ونحن الحاكمون إذا أطعنا .. " و " نحن التاركون .. إلى آخر هذه الأبيات، وارجع إليها في موضعها من هذه السطور .

وأخيراً فقد اعتمد عمرو بن كلثوم على قدرته الفنية ليجعل بني تغلب وغيرهم يقبلون الاستماع إلى مفاخرته، بل ويرون في عمله إبداعاً جيداً يستحق التقدير ويصبح واحداً من أهم أعمال العصر الجاهلي، وقد استند في هذا العمل على موسيقى رنانة جذابة، فكثرت عنده الموسيقى الداخلية المتمثلة في الجناس الموسيقي، كما اختار قافية رقيقة منطلقة وكان إيقاعه حماسياً سريعاً، حتى ليكاد السامع أن يرقص على وقع قصيدته .

وتميزت لغة الشاعر بالسهولة والسلاسة ــ كما مر ــ برغم حماسية الموضوع وعنفه حتى نكاد نعتبرها لغة معاصرة إلا في أشياء قليلة .

وغلب على أسلوبه التركيبي ترابط الأبيات نحوياً وأسلوبياً، بحيث لا يتم المعنى المراد إلا من خلال الجماعة المقصودة، بل إن بعض الباحثين يرى أن الشاعر لم يتخير لمعلقته تلك القافية التي تنتهي بالنون والألف الممدودة إلا ليهيئ لنفسه مجالاً فسيحاً لاستخدام ضمير الجماعة " نا " والذي يتيح له متنفساً واسعاً لحديث الشخصية القبلية الذي نظم معلقته ليسجله فيها " [1] .

وهذا الترابط النحوي والأسلوبي يكون في الأبيات التي تحمل فكرة واحدة، وهذا يدل على الروح الجماعية حتى في سياق الأبيات ذات الفكرة الواحدة، ومن ذلك ارتباط البيتين بأن يكون المبتدأ في بيت، والخبر في التالي، أو أن يأتي الفعل في بيت ومفعوله في التالي، أو أن يكون الشرط في بيت وجوابه في التالي، كما في قوله :

إذا ما عيّ بالإسناف حي ∴ من الهول المشبه أن يكونا
نصبنا مثل رهوة ذات حد ∴ محافظة وكنا السابقينـــا

(١) دراسات في الشعر العربي د . يوسف خليف، ص ١٧٧ .

ففعل الشرط إذاً هو الفعل (عي)، بينما جوابه هو الفعل (نصبنا) ولذا لا يتم المعنى المفيد للكلام إلا إذا قرأنا البيتين معاً، وهذا من أثر ارتباط المعلقة بالجماعة والتعصب القبلي والبعد عن الذاتية أو الفردية، ويمكن مراجعة أمثلة لهذا الترابط الأسلوبي إذا تأملنا القصيدة مرة أخرى ونظرنا في الأبيات التالية، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، فمثلاً انظر إلى قوله :

نطاعن ما تراخى الناس عنا　　ونضرب بالسيوف إذا غشينا

بسمر من قنا الخطـــى لدن　　ذوابل أو بيض يعتلينـــــا

كما يكثر عند الشاعر الربط بين الأبيات بالعطف، وهذا أوضح من أن يشار إليه، في هذه المعلقة، وارجع إلى الأبيات التي يتغنى فيها بأصله وعراقة محتده، وأنه ورث هذا المجد وتلك السيادة والأنفة عن آبائه وأجداده، وذكر بعضاً منهم بأسلوب العطف فهو يقول :

ورثت مهلهلاً والخير منه　　زهيراً نعم ذخر الزاخرينا

" وعتاباً وكلثـــوم جميعاً　　بهم نلنا تراث الأكرمينـــا

راجع الأبيات في مكانها .

أما إبداعه الخيالي، فقد كان جيداً، فهو وإن لم يبدع صوراً استدارية أو صوراً قصصية إلا أنه كان يكتفي بالصور الجزئية، بل ويبدع أيضاً عدداً من الصور الممتدة بالترشيح، وقد جاءت عنده في أكثر من موضع، وتميزت بمستوى بالغ الجودة، لما تضفيه كثرة التفاصيل على الصورة من حيوية وجاذبية، ومن ذلك تصويره لجيشهم حجر رحى " رحاحية " تطحن كل ما تقع فيها من بشر، وكأنه حفنة من الحبوب، ثم تتلقى أرض المعركة الطحن الذي يتبقى بعد سحقهم، وارجع إلى البيتين " متى ننقل إلى قوم رحانا ... البيت، والثاني قوله:

" يكون ثقالها شرقي نجد　　ولهوتها قضاعة أجمعينا

وانظر كذلك إلى البيتين :

" نزلتم منزل الأضياف منا　　فعجلنا القرى أن تشتمونـــا

قرينا فعجلنا قراكـــــــم　　قبيل الصبح مرداة طحينـــا

والأمثلة على ذلك كثيرة .

ومن الاستعارة في هذا الفخر ـــ وإن كانت قليلة ـــ موجودة، وانظر مثلاً إلى هذه الاستعارة المفجعة، عندما صور أعداءه حشيشاً جافاً يجتثه بسيفه في قوله :

نشق بها رؤوس القوم شقاً ∴ ونخليها الرقاب فتختلينـــــا

أي نجعل الرقاب للسيوف كالحشيش الجاف " الهشيم " ومن استعاراته كذلك قوله :

" ورثنا مجد علقمة بن سيف ∴ أباح لنا حصون المجددينا "

فقد صور المجد وجسَّده في هيئة حصون منيعة حارب جدهم علقمة حتى فتحها عنوة، وسيطر عليها قهراً، ثم أورثها أحفاده فصارت حقاً خالصاً لهم لا ينازعهم فيه أحد .

ومن استعاراته الجيدة قوله :

" وقد هرَّت كلاب الحي منا ∴ وشذ بنا قتادة من يلينا "

فهنا صور مخالفيه وأعداءه شجرة شوكية ضارة ومؤذية فقام بتهذيبها وقطعها، والعرب تضرب المثل في الكرم بجبن الكلب، وعدم نباحه لاعتياده الأضياف، كما تضرب المثل في البخل أو سوء الخلق بالكلب الهار أو النابح .

ومن التشبيهات الرائعة ـــ وهي كثيرة جداً ـــ قوله في التشبيه العادي :

" ونشرب إن وردنا الماء صفواً ∴ ويشرب غيرنا كدراً وطينا "

فقد صور كل ما في الحياة من طيبات، بصورة الماء، والتي تستحوذ عليها بنو تغلب، بل وتأخذ زبدتها والمشتهى منها، ومثله بصفو الماء، بينما يتبقى للآخرين ما زهد فيه هؤلاء وتركوه، وصوره بالماء الكدر الذي لوثه الطين لكثرة ما وردوه، أو هو يصور قومهم وشجاعتهم، فهم إذا وردوا هذا الماء ليسقوا أنعامهم، يمتنع الناس، ولا يجرؤ أحد أن يقترب منهم حتى يفرغ هؤلاء، فإذا سقوا أصبح ما تبقى من الماء كدراً معكراً من كثرة أنعامهم ومواشيهم، وهنا يصور الشجاعة والثراء، وهما عماد السيادة في ذلك العصر .

ومن روائع تشبيهاته كذلك، التشبيه الاستبدالي كما يسميه بعض البلاغيين وهو الذي يستبدل فيه بين صورتين لتصوير شيء واحد، وذلك في قوله مشبهاً حزنه :

فما وجدت كوجدي أم سقب ∴ أضلته فرجَّعت الحنينا

ولا شمطاء لم يترك شقاها ∴ لها من تسعة إلا جنينا

فهنا يصور حزنه لفراق حبيبته بصورتين مفجعتين إحداهما : لناقة ضاع وليدها فهي في طول الوقت تحن إليه، الأخرى بصورة أم شقية لم يترك لها قدرها القاسي حياً من أبنائها التسعة بل ماتوا جميعاً وتركوها عجوزاً وحيدة ثكلى ٠

كما جاء تشبيهه شديد القسوة حين صور دماء أعدائه بلون الخضاب، وكان هذه الدماء تحولت إلى زينة أو أداة تجميل ليوم العرس:

" كأن تبايناً منا ومنهم ∴ خضبن بأرجوان أو طلينا "

وكما ذكرت تشبيهاته كثيرة، وراجع على سبيل المثال : كأن جماجم الأبطال منا ٠٠ " البيت، أو قوله " كأن سيوفنا فينا وفيهم ٠٠ "٠البيت وقوله " كأن غصونهن متون غدر ٠٠ " البيت، وانظر إلى هذا البيت " :

وما منع الظعائن مثل ضرب ∴ ترى منه السواعد كالقلينا "

ومن كناياته متوسطة المستوى قوله :

بأنا نورد الرايات بيضاً ∴ ونصدرهن حمراً قد روينا

فاحمرار الرايات كناية عن كثرة القتلى، من أعدائهم، حتى سالت دماؤهم، وتشبعت بها رايات عمرو وقبيلته، فبعد أن كانت بيضاء في الصباح ووقت الورود، صارت حمراء قانية من كثرة الدماء التي انهمرت من أعدائهم ٠

وانظر كذلك إلى مثل هذه الكنايات في قوله :

" تركنا الخيل عاكفة عليه ∴ مقلدة أعنتها صفونـــا "

وقوله في غطرسة شديدة :

" ونحن إذا عماد الحي خرت ∴ عن الأخفاض تمنع من يلينا "

وعلى كل حال كان خيال عمرو بن كلثوم جيداً، وقادراً على تصوير ما يريد الشاعر أن ينقله إلينا من مشاعر ورؤى، وإن لم يبلغ في بعضه حد الحيوية المتوثبة للشعراء المبدعين أمثال : امرئ القيس مثلاً، أو حد العمق والسعة اللتين تميز بهما خيال زهير بن أبي سلمى، والنابغة مثلاً، وربما وجدنا سبباً لذلك والتمسنا للشاعر عذراً مقبولاً، وهو أن عمرو ابن كلثوم لم يكن شاعراً كهؤلاء، وإنما كان سيداً لقومه مفاخراً بقبيلته، ولعل هذا يردنا إلى ما ذكرناه عندما تكلمنا عن شاعريته نقلاً عن كتاب جمهرة أشعار العرب " ... قال الذين قدموا عمرو بن كلثوم: هو من قدماء الشعراء وأعزهم نفساً وأكثرهم إمتاعاً، وأجودهم واحدة، قال عيسى بن عمر : لله درّ عمرو بن كلثوم، أي حلس شعر ووعاء علم لو أنه رغب فيما رغب فيه أصحابه من الشعراء ... "[1] .

ومن ثم فالهدف من قصيدة عمرو بن كلثوم هو تعريف الخصوم عموماً وعمرو بن هند خصوصاً مَنْ هم قوم الشاعر ؟ !! إنه الفخر الهادر والصياح المتعالي لإثبات قوة بني تغلب وشجاعتهم وأنهم فوق الجميع، وقد كان يعبر عن هذه المشاعر والأحاسيس والتجارب الشعورية بشكل تلقائي عفوي، ولم يكن يتخذ من الشعر حرفة، أو مهنة تقتضي البراعة والدراسة والتأمل، ومن هنا ندرك سرَّ هذه المباشرة والتلقائية والتقريرية في شعره، ونعرف ـــ أيضاً ـــ إنما هي عواطف جياشة وحماسة ملتهبة دفع بها على صورة تلقائية عفوية .

(١) راجع الجمهرة للقرشي ص ٩٥، ٩٦، ط / دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ .

الخاتمـــــــة

نسأل الله حسنها جميعاً

الحمد لله رب العالمين بنعمته تتم الصالحات، وبشكره يزيد الفضل ويكثر العطاء، وبتقواه يكون الأمر العسير سهلاً ميسوراً، "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه .. ".

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد،

ففي قراءة الشعر الجاهلي ودراسته عودة إلى الأصالة، وإلى الينابيع الثرة، حيث تألق نجم ذلك الشعر ردحاً من الزمن، ولا يزال في نظر كثير من النقاد نموذجاً متكاملاً في صياغة القصيدة العربية، وفي توافر عناصرها الفنية .

فما بالك إذا كانت تلك القراءة والدراسة تتسمان بالأناة والدقة، وتختار من أصحاب المعلقات أجودها، ومن القبائل سيدها، إنه شاعر تغلب وقائدها " عمرو بن كلثوم " الذي ورث السيادة والأنفة، وذلك العرق الترق المترفع على الآخرين من جده لأمه " مهلهل بن ربيعة " وأخيه " كليب وائل " الذي ضرب به المثل في العزة فقيل " أعز من كليب وائل " .

وفي تناولي لفخر عمرو بن كلثوم القبلي في هذه السطور وقفت على بعض الجوانب الهامة من هذا الغرض وتلك الشخصية ولعل من أبرزها ما يأتي :

١ــ إن شعر عمرو بن كلثوم في معلقته ينصب على الفخر القبلي انصباباً، وهذا ما جعله يصنف في الطبقة السادسة بين الشعراء، ولولا ذلك لكان من الشعراء الذين وضعوا في الطبقات الأولى وهذا ما أثنيناه عندما تكلمنا عن شاعريته، ونقلنا قول " عيسى بن عمر " لو وضعت أشعار العرب في كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها " وأيضاً قوله : " لله دره .. لو أنه رغب فيما رغب فيه أصحابه من الشعراء، وإن واحدته لأجود سبعهم .

٢ــ من خلال هذه المعلقة تمكن عمرو بن كلثوم أن يكون رمزاً للإباء العربي، يفتخر بنفسه من خلال فخر هذا الشاعر الذي لو كان فخراً ذاتياً أو فردياً، لما كتب له الخلود في ذاكرة

كل محب للعزة والإباء وكل متمرد على الظلم والقهر والعدوان، فهو بطل قومي تخطى في فخره نطاق النفس ثم نطاق القبيلة والعشيرة إلى نطاق العرب في الصحراء الجاهلية، وإلى نطاق كل العرب فيما بعد الجاهلية، ولعل ما ذكرناه ـــ وذكرته كتب التاريخ ـــ عن سبب إنشاده لتلك المعلقة، وقتله لعمرو ابن هند ما يوضح لنا هذا الجانب .

٣ـــ هناك بعض الدارسين يشككون في عمرو بن كلثوم وفي معلقته أمثال " د. طه حسين، ود. ناصر الدين الأسد وغيرهما، وأثبتنا أنه وجد حقاً والتاريخ يحدثنا عن وجوده، وأنه كان له ولد يسمى " عباد بن عمرو بن كلثوم " هو قاتل بشر بن عمرو بن عدس، ولعمرو بن كلثوم عقب منهم " العتابي الشاعر المشهور، فكيف تكون شخصيته غير موجودة، وخلفها عاش حتى أيام بعض النقاد والدارسين أمثال الأصفهاني ؟

٤ـــ وإذا كان شعر عمرو بن كلثوم شعراً قبلياً ـــ كما ذكرنا ـــ فهذا لا يضيره، ولا يقلل من أهميته لأن هذا الشاعر وغيره من شعراء ذلك العصر وجدوا في القبيلة الوطن والأمة والوجود والذات، ولذلك كانت معلقته لا تتجاوز إلا قليلاً حدود ذلك الفهم، فالروح الجماعية تبدو في جلاء وسفور، فعمرو يتحدث عن قبيلته في الفخر والهجاء والوعيد والإنذار، والكلام بصيغة الجمع مما يؤكد أنه كان لسان القبيلة المعبر عن أحوالها وترجمان أحاسيسها، فكان يفخر بالأحساب والأنساب ويعدد مناقب الحاضرين والغابرين من الآباء والأجداد، ويسرد انتصاراتهم في الحروب، ويفيض في الحديث عن مكانتهم وقدراتهم الحربية، وتفوقهم على كل من في الأرض .

٥ ـــ وردت في هذه المعلقة ـــ كما ذكرنا ـــ بعض المبالغات، منها المقبول، لأن الشاعر فيها كان يترجم عن عاطفته، ولا يصدر فيه عن عقله، فنجد عنده الصدق الفني وليس الصدق الواقعي، وقد كان في مثل هذه المبالغات مقبولاً انطلاقاً من المقولة النقدية التي تقول : " أعذب الشعر أكذبه، أما المبالغات التي كانت غير مقبولة ولا معقولة، وجنح فيها خياله فهي كثيرة ومنها ـــ كما ذكرنا ـــ على سبيل التمثيل هنا " سجود الجبابرة لمن بلغ من أطفالهم سن الفطام " ؟ !! وكذلك عندما يقول : " لنا الدنيا وما أضحى عليها " وأنا .. وأنا .. فكل هذه مبالغات غير مقبولة ربما فرضتها عليه تلك البيئة وتقاليدها ـــ كما مر ـــ وهذا الغلو جعله يخرج عن دائرة

الصدق الفني في بعض الأحيان الذي كان مسيطراً على رؤية الشعراء في ذلك العصر، مما جعل فخره ليس له نظير في الشعر الجاهلي .

٦ــ يعد عمرو بن كلثوم من رواد الفخر القبلي في عصره حيث تنافس الشعراء على هذا الغرض ولكنه فاقهم فاقته وانتصر عليهم، وذلك بهذه المعلقة المشهورة والتي قالها بعد قتله لعمرو بن هند وهي تعد من روائع الشعر العربي، وكذلك سيادته لقومه أهلته لقولها بهذه الصورة الجيدة .

٧ــ يعد عمرو بن كلثوم من رواد التجديد في الشعر العربي، بل رائداً له في أيامه الأولى، والدليل على ذلك مطلع هذه المعلقة إذ بدأها بذكر الخمر ووصفها، قبل أن يبدأ ــ كما جرت العادة ــ عند الشعراء الجاهليين بالوقوف على الأطلال، والبكاء على الأحبة، وكذلك نرى بعض بذور الوحدة الموضوعية فيها، فدارت معظم أبياتها حول فخره بقبيلته وتهديده ووعيده لخصومها، وإن فقدت الوحدة العضوية، في كثير من مواضعها خاصة عندما ينتقل من فكرة إلى فكرة فيمكنك أن تقدم بعض أفكارها أو تؤخرها دون أن يحدث خللاً في بنائها .

٨ ــ وأخيراً وليس آخراً : اختلاف الروايات في هذه المعلقة، من حيث عدد الأبيات أو الألفاظ، وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه .

وبعد، فإننا في هذه الدراسة المتواضعة للفخر القبلي في معلقة عمرو بن كلثوم، أرجو أن أكون قد أسهمت قدر الإمكان في الكشف والإبانة عن هذا الشاعر وعن فخره وبواعثه وحققت الغاية التي توخيت أن تكون مفيدة لكل من أراد أن يقرأ عن هذا الشاعر .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل

من أهم مصادر ومراجع البحث

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر د ٠ شوقي ضيف، ط / دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩ م، ط / سابعة ٠

(٢) الأدب في العصر الجاهلي د ٠ عبد الرحمن عبد الحميد، مطبعة الصباح للطباعة والنشر سنة ١٩٧٨ م ٠

(٣) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين (٣٥٦) طبعات: دار الثقافة بيروت، سنة ١٩٥٦م، دار الكتب المصرية بتحقيق مصطفى السقى سنة ١٣٨١ هـ، ودار الكتب بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٧٩م، ونشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ٠

(٤) أيام العرب في الجاهلية، محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه ط/ دار الجيل لبنان، سنة ١٤٠٨ هـ، وطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٤٢ م ٠

(٥) البطولة في الشعر العربي د٠ شوقي ضيف، ط / دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤ م، سلسلة (إقرأ) ٠

(٦) تاريخ آداب العرب ـ مصطفى صادق الرافعي، ط / الاستقامة سنة ١٩٤٠ م، ودار الكتاب العربي٠

(٧) جمهرة أشعار العرب، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، شرحه وضبطه الأستاذ / علي قاعود ط/ دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٩٩٢ وطبعة دار صادر بدون تحقيق وتاريخ ٠

(٨) خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي تح / عبد السلام هارون ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٧٧ م ٠

(٩) دراسات في الشعر الجاهلي د ٠ يوسف خليف ط / دار غريب، سنة ١٩٨١ م ٠

(١٠) ديوان طرفة بن العبد تح ٠ فوزي عطوى، ط / دار صعب، سنة ١٩٨٠ م، بيروت ٠

(١١) ديوان عنترة بن شداد، تحقيق محمد سعيد المولوي ط / دار عالم الكتب ــ الرياض سنة ١٤١٧ هـ ٠

(١٢) ديوان عمرو بن كلثوم، تح عمر فاروق الطباع ط / دار القلم سنة ١٩٤٤ م، وط / دار صادر أولى سنة ١٩٩٦ بيروت ٠

(١٣) ديوان المعاني " أبو هلال العسكري " ط / القاهرة سنة ١٣٥٢هـ وتحقيق كرنكو نشر المقدسي سنة ١٩٥٢ م ٠

(١٤) الرحلة في القصيدة الجاهلية ــ وهب رومية نشر اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين سنة ١٩٧٥ م ٠

(١٥) الشعر الجاهلي ــ خصائصه وفنونه، د ٠ يحيى الجبوري، ط / مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٥هـ سابقة ٠

(١٦) الشعر والشعراء لابن قتيبة (أو طبقات الشعراء) ومراجعة د٠ مفيد قميحة، والأستاذ نعيم زرزور، ط / دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٩٨٥ م، وتحقيق الأستاذ : أحمد محمد شاكر، سنة ١٩٧٧ م ٠

(١٧) شرح ديوان امرئ القيس، ويليه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، جمعها وقدم لها وحققها : حسن السندوبي، وراجعها : أسامة صلاح، ط / دار إحياء العلوم سنة ١٩٩٠ م، بيروت ٠

(١٨) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، نشره أحمد أحيم، تحقيق عبد السلام هارون ط / لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م أولى ٠

(١٩) شرح ديوان عنترة، سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب ط / دار مكتبة الحياة بيروت سنة ١٩٨٢ م، وديوان عنترة بن شداد بتحقيق ودراسة محمد سعيد المولوي ط / دار الكتاب الإسلامي ٠

(٢٠) شرح المعلقات السبع ــ الزوزني ــ ط / دار الفكر ــ ثالثة، وط/ دار الثقافة، وشرح الزوزني على المعلقات السبع ط / دار مكتبة الحياة سنة ١٩٩١ م ٠

(٢١) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ـــ جمعه الأستاذ : أحمد ابن الأمين الشنقيطي ط / دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٣م بدون تحقيق ٠

(٢٢) طبقات فحول الشعراء تأليف محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر ط / المدني سنة ١٩٧٤ م ٠

(٢٣) العصر الجاهلي د ٠ شوقي ضيف ط/ دار المعارف سنة ١٩٩٢م، الطبعة الخامسة عشر ٠

(٢٤) العمدة في صناعة الشعر ونقده تأليف أبي الحسين بن رشيق القيرواني تح: مفيد قميحة، ط/ دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٣م، وتح محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة سنة ١٩٥٥م٠

(٢٥) الفخر في الشعر العربي، إعداد سراج الدين محمد ط/ دار الراتب الجامعية بيروت ٠

(٢٦) الفخر والحماسة، بقلم حنا الفاخوري، ط / دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٠ م، رابعة ٠

(٢٧) في الأدب الجاهلي د ٠ طه حسين ط / دار المعارف بمصر، سنة ١٩٥٨ م ٠

(٢٨) في مرآة الشعر الجاهلي، دراسة فنية تحليلية مقارنة د٠ فتحي أحمد عامر ط/ منشأة المعارف بالإسكندرية ٠

(٢٩) الكامل في اللغة والأدب تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، ط/ المطبعة الأزهرية سنة ١٣٣٩ هـ ٠

(٣٠) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، ط / دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤ م ٠

(٣١) موسوعة الشعر العربي، اختارها وشرحها : مطاوع صفدي وإيليا حاوي، وراجعها د٠ خليل حاوي، ط/ الشعب بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م، نر : شركة خياط ٠ بيروت ٠

(٣٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء تأليف : محمد بن عمران المرزباني تح: محب الدين الخطيب ط/ ثانية القاهرة سنة١٣٨٥هـ٠